

العلماء من الأدباء والشعراء

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com



سليمان الحيسى

مُنشِّدُ الْعُروَةِ وَالْأَطْفَالِ

تأليف
إيهاب يوسف بقاي

دار الكتب العلمية

سيဂروت - فرنسا

سليمان الحيسى منشد العروبة والأطفال

تأليف
إيهاب يوسف بقلوش

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مكتبة لسان العرب
www.lisanarab.com

جميع الحقوق محفوظة
دار الكتاب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

دار الكتاب العلمية - بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٤٤ - نسخ: ٤١٢٤ - ناشر: Le Nasher
هاتف: ٦٠٢١٢٢ - ٨٦٨٠٥١ - ٨٦٦١٣٥
فاكس: ٦٠٢١٢٢٠٠٠ / ٤٧٨١٣٧٣ - ٩٦١١ / ٦٠٢١٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بقلم: الدكتور رفيق عطوي

بين الشعر والثورة، علاقة ود تُعرف الأصالة من وَهْج المعاشرة.
وشاعرنا سليمان العيسى، عاشق حرية، وفارس غربة، وشاعر أمة.
في شعره بعض ذاته، هذه الذات المتوبعة أبداً نحو القائمة، يحمل
آلام الأمة، والأمال. لا يهدأ، لا يلهو، لا يبشر أحلاماً فوق مساحات
العيش، أو ضمن الجدليات البراغماتية الغارقة، حتماً، في لعنة انحراف
الوجود العربي نحو التهميش.

عرفت سليمان العيسى، جنانياً، وأنا بعد في عهد الطلب، حيث
الأمة من المحبط إلى الخالج تشهد بزورغ فجرها القومي الصحيح.
فكان شعره نبراساً أضاء تألقنا الثوري حينذاك.

وعرفت سليمان العيسى عياناً منذ عامين، في صنعاء. وتحديداً في
مكتب الأخ الدكتور عبد العزيز المقالع، مدير جامعة صنعاء.
لقد أذهلتني المفاجأة!.

دخلت مكتب الدكتور المقالع، فإذا بجانبه رجل مجلل بالوقار،
قد نيف على السبعين، وعلى محياه ابتسامة مسترة. فحالجني شعور
شديد بمعرفة هذا الرجل. وكأنني بالدكتور المقالع قد أدرك بذكائه

المعهود، حقيقة مشاعري، فابتسم وقال لي: إنه سليمان العيسى،
الشاعر العربي الكبير.. وقدمني إليه.

تسررت عيناي في الرجل للحظات.. ترددت خلالها في خاطري
أصداء قول شاعرنا:

شمس العروبة إن تعطيقي الظلم بعد اليوم، غبي
غبي.. من صنع للدنى شمساً تضيء بلا غروب..

ثم دار حديث عن لبنان بكل أحزانه وأحلامه... والشاعران المقالع
والعيسي يحيّان لبنان ويقدّران دوره الثقافي والحضاري في دنيا العرب
والعالم.

وما دام الحديث عن سليمان العيسى الإنسان والشاعر، فلن يغيب
عن بالي ذلك النبأ الغريب الذي حمل إلى العالم استشهاد سليمان العيسى
خلال أحداث مدينة حلب، إثر انفصال الوحدة بين مصر وسوريا، وضياع
حلم عربي كبير. فانبأ الشعراً برحيل الشاعر العربي الكبير.. ولكن تبين
بعد أيام أن الشاعر العيسى ما زال حياً يرزق.. فكان أول شاعر يسمع رثاء
وهو على قيد الحياة. وأذكر في هذا المجال ما قاله شقيقه الشاعر
الدكتور فوزي عطوي في رثاء سليمان العيسى:

بدمي، بلوعة، أمتي، بشقائي
بعروبي، بعقيدتي، ببابائي
باسم السلامين التي ظيفت إلى
رفاق شعرك قد نظمت رثائي

غريبة أنتنا وشاعر شعبنا

ماذا تركت لسائرِ الشعراءِ..

ولكن غنى الشاعر سليمان العيسى للأطفال. فالأطفال هم الأمل الطالع، والخير الآتي للأمة. هم حلم الشاعر، بطربيهم بالصوت الدافئ، وبالكلمة الطيبة. كي لا تغرقهم ألفاظ الدهشة والغرابة، وعبارات الافر أو الفلمة. عله يبلغ في مسعاه، توجيهه مسار الأطفال نحو القيمة... وحسبى في هذا قول الشاعر في «رمال عطشى»:

يقولون: غنِّ الهوى والشباب

وما كنتُ بما وطنني أجرِّم

تشربُذ طفلاً... ولن أرضي

صميري لعلفالي غداً يُفَسِّم

وبعد،

فإن هذا الكتاب «سليمان العيسى شاعر العروبة والأطفال» للسيدة إيمان بقاعي، يمثل دراسة واعدة، وإضاعة طيبة، وجهداً مباركاً، وتحية وفاء لرجل أعلى العروبة عمره، وشداً أحانها، وغناتها أناشيد النضال، فاغنى بها تاريخنا الأدبي شعراً قومياً ملهمأً، عليه من الخلود معارف لا تبلى.

د. رفيق عطوي

٩٣/٨٢/٢٠



أ. نعّاله الدين شويفاني

www.lisanarb.com

سليمان العيسى

اغناء الذكريات

خلفنا البيد العطشى
وَدَعْنَا الرمل الأَغْزِرْ
ولهَاء الصحراء الحزى
وبساطِ الرمضانِ الأَحْمَرْ
هاتِي يا أيّكَةُ ظلَّيكَ
مَذَى يا شامُ ذراعِيكَ
الغوطَةُ أَقْدَاعُ وَمَدَامْ
والجنةُ عصفُورٌ يا شامْ
في صدركَ
عصفُورٌ أَخْضَرْ
خُلُمْ يَصْحُو...
خُلُمْ يَسْكُنْ...
يا نهرُ السحرِ... سلاماً!
يا أَرْضَ الْعَطْرِ... سلاماً! ^(١)

(١) سليمان العيسى، ابن الابهم، الإزار الجريح — شعر ط ١٩٦٦، ص ٢٥.

وللتراث أجنحة... .

وللكلم أجنحة تطير... تعير وبعود النشيد من جديد...
نشيد فيه الكثير من الموسيقا والحب... الحب للقاء! الشام والموطة
والغفل والأحلام تتالى... الحداه ينشدون. الحداه يواصلون النشيد:

عدنا يا شام من السفري

عدنا بفراشات التسمري

بصفائر... كانت للفوري

كانت لصبايا الجان... .

زريق كالصخور حسان

حضرت كرؤى بستان

رواه كوثرك الاسمر^(١)

فسقى الدنيا... ومضى بمسكره

الجنة عصفورة بمسكر

في صدرك، عصفورة أخضر

يا شام... سلاما

يا أرض المجد... .

سلاما^(٢)

الأمكنة تغنى... الجغرافيا تغنى... تحول الجغرافيا ذكريات

(١) اشارة الى نهر بردى.

(٢) سليمان العيسى، ابن الابهم، الإزار الجريح - ص ٢٧-٢٨.

نابضة... من الشام إلى «النعيরية» البعيدة خمسة عشر ميلاً من مدينة
انطاكية التاريخية، ولد سليمان العيسى...

كانت القرية فقيرة ولكنها كانت جميلة جميلة...

ولابد وأن جمالها أثر في شاعريته

لابد وأن جمالها غرس الحروف رنانة في كلماته...

«النعييرية» الولادة...

و«النعييرية» الاقلاع...

من يسرق لواء الاسكندرؤن؟...

من يسرق الذكريات؟...

هل تسرق الذكريات؟...

(حلوة كالحب عتاب مني)^(١)

أهلاً بخيالك... طفلتنا

يا للذكرى... تعليوي الزمان

وتجدد شطراؤ... من عمري!

أيام عصافنا... في الدنيا

لهباً، ورغائب من جهنم

أيام نصباناً الجبل

والخُذ الأسمُر، والغزل

وليالي القرية، والزجل

(١) صديقة الشاعر وقد ارسلت له رسالة عتاب من قريتها.

إذ نبدؤها عند العصرا
ويضيع الموكب في عربى
والسكر يصحو من سكر

بالروح... صبابات نشوى
نحافت بالحب.. كما نهوى
نكانت، بل ما زالت سلوى

لکفاح، ملتهب، مزا
خضناه في الشوك الدامي
ثورات جراحات حمر

إذن فالذكريات عند الشاعر تبقى سلوى تلسم جراح الأيام
القاسية... تبقى حلاوات من طفولة عذبة.. تبقى تمسح الجراح..

في كل مظلل أو درب
أصداء.. من مزاج عذب
ونحبائل.. يومي للصحب

أني لم أفر على الهرجِ
عودوا فالقرية بعد كُم
قد أرمقها صمت القبرِ

مضت الذكرى... عاماً، عاماً
وبقينا فيها.... أنغاما
قصصاً للحب... وأحلاما

صحيح أن الذكرى مضت لكن الصغار الذين صاروا كباراً بقوا
أنقاماً فيها وأحلاماً وقصاصاً ورغبة في العودة إلى الطفولة إلى كل ما
هو جميل وبسيط وصافٍ ...

«سنعود إلى النبع الصافي

ونسير مع الراعي الحافي

بأريح العطرِ الهافي

لن تخطئُمْ أغلال الشّرّ

سنعود لنبدأ ثورتنا

في كوخِ الحطّاب المزري»^(۱)

ماذا ي يريد سليمان العيسى وقصائده تنضع بالذكريات؟ ها هو أيضاً
يعود في الذاكرة إلى زاوية هادئة لأحد أصدقائه في «المقهى الهرم
بدمشق» فتراه يسترجعُ الذكريات بشكل حيوي رائع وكأنها صورة
متحركة تراها بأم عينيك:

«سعياً للأمس... أخَا الجامِ

وسلام... يا ليل الشامِ

إلهام... ذاب بالهَامِ

وكؤوسٌ تعُثُّ بالشَّحرِ

وشبابٌ للدنيا ظامي»

ويخاطب صديقه:

(۱) قصيدة «القرية ومني» كتبَت عام ۱۹۵۳.

«اجلسن.. تسبقك «الترجيلة»
وأبو عدنان^(١) .. ففى حيلة
ولقد تعيبك «التشعيلة»
وترئنْ «ناڑك» فاصطبر
فلا كلّ عسِير.. تذليله»

وبتابع بروعة وصف صورة الترجيلة ونفائتها التي تجلو أفكار المتأمل
كما يقول.. يعرف الامر من يدخلنها ويعرف الامر من يستوحىها:

«ومع النفات النوارة
يجلو المتأمل أفكاره
ويصافح قلب أسراره
فإذا هو في لُعْن الفَكِيرِ
نعم يتلمس أوتاره»

وهذه الذكريات حميمة ملحة.. يسرق الشاعر فيها نفسه إليها..
يعيشها.. بل يتعين أن يعيشها.. ولكن حين لا يفعل.. نراه يرجو صاحبه
أن لا يترك هذا المقهى الهرم.. هذا المقهى الذي يستحق الحب
والوفاء من كل من يرتاده شئماً محظلاً بالألم.. ويرجوه أن يبقى وفيأ
له فهذا الوفاء هو النور الذي يضيء ظلام الليل:

(١) صاحب المقهى

ولا تبرح «مقهاناً» الهرما!
أهوى فيه حتى الساما
بالمرهقٍ مثلي والضجر
وبمن خرموا.. إلا الألما

جدد فيه نار «النفس»
وبقلب المأساة انغمس
إن لم نك نحن سنا القبس
في هذا الليل المعتكر
وا لهفا.. للركب العس^(۱)

رحلة الذكريات لا تنتهي مع شاعرنا.. وكيف تنتهي والاقلاع
ديمدن الحياة.. والاقلاع خنجر معروض
«الخجران»^(۲) بصدرى

كان نزفهما
عمرى.. أحب به طفلاً وأضطغفُ
الخجران.. وبافا يمثل حارتنا
خلف السلاسل.. لا أهل ولا سكّن
بعيدة.. عباتُ الحلم.. يا وطني

(۱) قصيدة الجسر والمعهم الهرم - نظمت عام ۱۹۵۴.

(۲) الاشارة الى لواء الاسكندرية وفلسطين.

صحراء يلهث فيها الفكر والظلنُ
 أرتدى طفلاً
 أدقَّ الصخر متطرضاً
 صحو البنايبع
 يكى قبضتي الوهنُ^(١)
 فالذكريات الحلوة تستعاد..
 كذلك الذكريات المريرة..
 الجروح لا ينسى.. كيف ينساه شاعر؟..

لواء الاسكندرون، فلسطين، يafa، حارة الشاعر كلها في الهم
 سواه.. كلها في الحزن سواه، الحزن يجلب الحزن، والأسى يعمه
 الأسى، لكنما العودة إلى عالم الأحلام المستحبلة أحياناً هي مجرد
 عودة بريئة لعالم العقل الذي يدق الصخر برید الماء ينبع من دفنه
 تلك..

يتطلور انفجار الماء.. انفجار البنبوع.. يدق بعد.. ولكن ها هي
 القبضة الصغيرة تتألم.. والصخرة جامدة قاسية والبنبوع؟.. أمن
 البنبوع؟..

يكبر شاعرنا وما زال صغيراً يحمل في جعبته الذكرى
 بصير في الخمسين وهو ما زال صغيراً..

(١) قصيدة أمشي وتأمن - أنشدت في مهرجان الشعر الخامس عشر الذي أقامه اتحاد الأدباء والكتاب العرب بصنعاء في ١٢/١ ١٩٨١.

للوطن يعني كما كان يعني عندما كان طفلاً..
للوطن الكبير يعني كما حاول لأول مرة في قصيده الأولى
المهدأة من «فم العاصي» إلى اليمن والخليج والوطن الكبير.. الحلم
الكبير..
الذكريات؟..

«أشد عليك.. في الخمسين.. طفلاً يكبر الالم
وتكتئ أنت.. والحلُّم
على قرميد ضيعتنا.. هو الحلُّم
كأنني ما أزال على فم «ال العاصي» تراتيلاً
أجربت أن أدق على المحيط قصيدي الأولى
وأنشر ناز قافيتي على اليمن
وأسمع في الخليج دوي أحلامي ويسمعني
أنا العطف الذي ما زال يكتئ فيك محترقاً
فخذ حدقي لأبصر فيك، وأكثري في دمي رهقاً»^(١)
لنعم قليلاً إلى طفولة الشاعر..

جاء في خاتمة الديوان الشعري «كلمات مقاتلة» للشاعر سليمان العيسى، الصادر عن دار العودة بيروت عام ١٩٦٩ وتحت عنوان «الشاعر في سطور» ما يلي:

(١) سليمان العيسى – أغاث بريشة البرق – قصيدة أقاتل باسمك العريان.

- سليمان أحمد العيسى: ولد عام ١٩٢١ في قرية التغيرة على ضفة نهر العاصي غربي انطاكية..
- كان في مدرسة انطاكية الابتدائية حين اشتعلت الحركة العربية الثورية في لواء الاسكندرون شمالي سوريا دفاعاً عن عروبة هذا الجزء الذي أهداه الاستعمار الغربي إلى تركيا عام ١٩٣٧.
- هاجر بعد اغتصاب وطنه الصغير إلى دمشق.
- وأتم دراسته الثانوية في حماة واللاذقية ودمشق. وعرف في هذه الفترة مع رفقاء اللوائين مرارة التشرد وقيمة الكفاح.
- شارك في تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي وهو طالب ثانوي عام ١٩٤٠.
- طرد من المدرسة ودخل السجن غير مرة لمشاركته في المظاهرات الوطنية واعماره الملتهبة التي كان يلقاها في الجماهير.
- أنهى دراسته الجامعية في دار المعلمين ببغداد.
- عين مدرساً للأدب العربي في ثانويات حلب عام ١٩٤٧. وانتقل إلى دمشق مفتشاً أول للغة العربية بوزارة التربية في مطلع ١٩٦٧.
- كانت حياته وما تزال موزعة بين التدريس والشعر والكفاح القومي..
- من مؤلفاته: مع الفجر - شاعر بين الجدران - ثائر من غفار - قصائد عربية - صلاة لأرض الثورة - أمواج بلا شاطئ - ديوان

الاطفال — كلمات مقائلة — أغان بريشة البرق..

- ونذكر أنه اتجه إلى كتابة شعر الاطفال بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ وكتب قصة طفولته شعراً ثم كتبها ثثراً للأطفال.

الأولى بعنوان: أحكي لكم طفولتي يا صغار.

والثانية بعنوان: وائل يبحث عن وطنه الكبير.

- وفي تشرين الأول من عام ١٩٨٢ حصل على جائزة «لوتس» للشعر من اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا.

وفي عام ١٩٩٠ انتخب بالإجماع عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق..

يُكِبِّر سليمان العيسى
لَكْنَه يُعيِّش الذكريات
«مضت الذكرى... عاماً عاماً
وبقينا فيها.. أنفاماً
قصصاً للحب... وأحلاماً»

يُكِبِّر سليمان العيسى
لَكْنَه أبداً يُسمِّعنا
غناء الذكريات.

ثقافة الشاعر

«كان والدي الشيخ أحمد، رحمة الله أستاذى الأول، بل أستاذ
القرية كلها، والقرى المجاورة.
لم يكن في قريتنا مدرسة.

بل لم يكن في الريف كله مدرسة واحدة في تلك الأيام. المدرسة
الابتدائية الوحيدة في المدينة، في كتاب الشيخ أحمد، أعني في بيتنا.
حفظت القرآن عن ظهر قلب، لأنني كنت أساعد والدي في مذاكرة
اللامدة.

فكانت السورة الواحدة من سور القرآن تعاد أمامي من عشرين إلى
ثلاثين مرة.

فلا عجب أن ترسخ في الذاكرة آياتها. وأن ترسخ معها بنية العربية
وأسسها المتينة في أعماق الطفل الصغير ابن السادسة أو السابعة.
وفي «الكتاب» أتقنت الخط، وتعلمت عمليات الحساب الأربع،
وحفظت الجزء الثاني من مبادئ العربية في الصرف والنحو للمعلم
المرحوم رشيد الشرتوبي.

ورثت استطلاع عشرات القصائد من الشعر العربي قد يه وحداته..
ومن المعلقات.. إلى شعراء العصر العباسي.. إلى شوقي وحافظ
وخليل مطران والرصافي والزهاوي وبدوي الجبل..

كانت مجلة العرفان التي تصدر في صيدا ومجلة الهلال المعروفة من بين المجلات القليلة النادرة التي كانت تصل إلى قريتنا. كان الشيخ أحمد يبذل قصارى جهده ومعظم ما يدخله من نقود زهيدة ليأتي ببعض أعداد هاتين المجلتين من المدينة. وما يكاد العدد من آية مجلة يصل إلى البيت حتى تلتهمه التهاماً فلا ترك فيه كلمة إلا قرأتها وأعدنا قراءتها وحفظنا ما فيها من شعر عن ظهر قلب. كنت أحب الشعر..

وكيف لا أحبه، وأبى شاعر ينظم قصائده ويكتبها بخط جميل، ثم يغيب عنها مساء عندما تجتمع الأسرة على موقد النار؟.. ولطالما اجتمع عندنا فلا حوا القرية وأنشدهم والدي قصائده إنشاداً بصوته الرخيم.

فكان ديوان المتبنى، هذا الشاعر العربي الكبير، رفيق طفولتي، أقرؤه على أبي، وأستظهر كل يوم قصيدة، أو جزءاً من قصيدة منه، ثم أغنى ما أحفظ بصوت حلو رقيق: أرق على أرق، ومثلثي يأرقُ وجوى يزيد، وعبرة تترفرقُ ولم أكن أدرك معنى هذه الكلمات: الأرق، الجوى، العبرة التي تترفرق، ولكني كنت أحس إحساساً غامضاً أنني أحفظ شيئاً جميلاً جداً، وأن الأمة التي ابدعت مثل هذا البيان الرائع لا بد أن تكون أمة رائعة..^(١)

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات — تونس ١٩٨٨ — ص ٢٦٥-٢٦٦

وفي التاسعة أو العاشرة - لا أذكر أيضاً - بدأت كتابة أولى قصائدي، تحت اشجار التوت والتين في حارة بساتين العاصي وعلى ضفاف نهر العاصي، جاري ورفقي الذي لا أنساه.

كانت قصائد الطفولة تتحدث عن هموم الفلاحين وبؤسهم وكفاحهم في سبيل اللقمة.

كانت تحمل بذور الثورة على هذا الشقاء الذي لا يعرف أحد كيف حلّ بهؤلاء المساكين ولا يجرؤ أحد أن يناقش أسبابه.

كان الطفل الشاعر يهتف ببراءة وهو دون العاشرة:

وألا أيها الفقراء موتوا
لكم في جنة الفردوس قوٌ
لقد بنيت لكم ثُمَّ لبِيوٌ
وكثُرْكم بها يجري شهياً^(۱)

وكان للأرسوزي الدور الكبير في إغناط ثقافة شاعرنا وتوجيهها فاستغرق شاعرنا مع الفيلسوف الألماني فيخته ومع نيتشه و«زرادشت» الذين أشار عليه بهما أستاذه..

وكذلك فرأى الأدب الانكليزي بمساعدة صديقه بدر شاكر السياب الذي أحبه جداً والذي عقد معه صداقه جيدة في بغداد وقد تبادلا المعلومات، فسليمان يطلع السياب على ملامع الأدب الفرنسي

(۱) نفسه ص ۲۶۸ .

والسياب على ملامح الشعر في الأدب الانكليزي وحين توفي صديقه
السياب رثاه بمرارة...

رثى شعره المضيء «لرحاب البؤس»

رثى كلماته «الحمر».. رثى في صديقه القمم التي تخضر وتورق به:
يا شاعر النبرة السمراء يحملها

إلى الخلود جناح لبس بنهرزم

غمست قلبك في المأساة فانسكت

نُعمى تصيء رحاب البؤس تنتقم

نحن العطاش.. وتسقي الأرض زفرتنا

ويبعد الطيف.. لا شكوى ولا ندم

من شهقة الكلمات الحمر.. من دمنا

تخضر يا بدر، تحيا.. تورق القمم..

مات بدر.. وما مات ذكراء..

مات بدر، وما مات بيرون وشيلبي وكپتس وردرزروث.

مات بدر، وما مات الشعر المقوء من بنابيغ الانكليزية والفرنسية

والأمريكية.

مات بدر، وما مات ذكراء..

نعم! الذكريات عند سليمان العيسى أبداً لا تموت.

هي تحيا في أعماق أعماقه.. في الطفل الكامن فيه..

هي تحيا كي تنشد كل يوم أناشيدها الوضاءة..

قضية العروبة

يتحدث شاعرنا في باقة نثر «وائل يبحث عن وطنه» عن كيفية اكتشافه للتاريخ ذلك العلم الهام جداً كي يقرأ الانسان جذوره.. كي يبني ماضيه، ماضي أجداده، ويعيش إضاءاته، يحاول من خلالها استجلاب المواقف المشرفة.. ربما مقارنتها وربما استمداد النسخ منها..

في بغداد درس شاعرنا التاريخ وعاد إلى كتب التراث: ابن خلدون.. العقريبي.. المسعودي.. ابن الأثير.. الطبرى.. وعشرات مصادر الكتب.

درس التاريخ بطريقة منهجية علمية...
«وذات صباح» يقول شاعرنا، في «وائل يبحث عن وطنه الكبير»:
«وقع في يد وائل كتاب من كتب التاريخ.

يا للمفاجأة الحلوة! لا يذكر عنوان الكتاب بدقة، ولكنه كان بالتأكيد يتحدث عن تاريخ العرب، وأمجادهم القديمة.

أخذ الصغير الكتاب وضمه إلى صدره بحنان وإجلال.
ثم انطلق إلى البستان واختار ظل شجرة من اشجار التوت الوارفة
الاغصان، وجلس تحتها وأخذ يقرأ.

ساعة.. ساعتان.. ثلاثة ساعات..

لم يشعر وائل بالوقت.. ولا أحس شيئاً مما كان يدور حوله. لقد انتصف النهار وما زال غارقاً في الكتاب يقرأ بينهم ولذة. إن أباه وأمه سيفتقدانه إذا تأخر كثيراً، ولكنه لم يهتم لذلك. وتتابع القراءة حتى مالت الشمس إلى المغيب عندئذ طوى الكتاب وضمه إلى صدره كأنه يضم كنزًا صغيراً امتلكه فجأة، وعاد في صمت وشروع.

لم يسأل أحد أين كنت؟..
كان أهله يحبونه ويعرفون شروده وجبه للعزلة أحياناً.
وفي صباح اليوم التالي انطلق وائل بكتابه العزيز إلى شجرة التوت،
وواصل القراءة.

وتوالت الأيام..
والصغير يقرأ الكتاب ويعيده حتى كاد يحفظه عن ظهر قلب ثم أخذ يجمع رفقاء الصغار في القرية، ويقص عليهم بعض الحوادث والبطولات العربية.^(١)

يقرأ سليمان التاريخ.. يقرأ وائل التاريخ ويقصه على رفقاء عندما كان صغيراً.. ويقصه على قرائه عندما صار كبيراً..
لا يقص المرأة شيئاً لم يتفاعل معها
أحبيت «أبا محجن الثقفي»
أحبيت الفارس الصائع..

(١) بحث نشر (وائل يبحث عن وطنه الكبير) من ١٦-١٧

كُبِثَ مسرحيته، أو لخاته الأربع عشر في أسبوع ورحت اتحدث
اليه..

كأنني اتحدث الى صديق قريب.. قريب..
فكان يعيش معي في كل لحظة، في كل خاطرة.
ثم القيت الدفتر المخطوط..
تركته جانباً يقرؤه الصغار، ويتحذّد الكبير نسخة منه لنفسه.
وفتح «الأغاني»^(١) عرضاً..
أقلب صفحاته دونما هدف أرمي اليه
كمن يخضر على باله أن يبعث بشيء..
بعد عمل مجهد..

ووقفت فجأة أمام هذا العنوان:
«أخبار حسان وجبلة بن الأبيهم»
وأخذت أقرأ بدقة.. وعلى مهل
طالعت الفصل كله.. وابتسمت
«ابن الأبيهم»
مجنون آخر.. تجربة جديدة..
لعله هو الذي أبحث عنه أيضاً..
سأعيد القراءة..
سأقف عند كل كلمة..

(١) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني.

والقصة معروفة، حفظناها ونحن صغاري:

جبلة بن الأبيهم، آخر ملوك الفسasseنة في الشام، يعلن إسلامه،
ويذهب إلى الحجاز. يرحب به الخليفة عمر بن الخطاب في حرارة،
ثم يصطحبه معه إلى الحجج. وفي أثناء الطواف حول الكعبة، يدوس
رجل من بني فزارة لازار الملك الغساني، فيغضب، ويرفع يده فيهشم
له أنفه..

ويشكوه الفزارى إلى عمر..
فيطلب منه أن يرضي الرجل، أو يقيده منه..
وكيف يقيده؟..

يأمر بهشم أنفه، كما فعل هو بغيره..⁽¹⁾
وها هو عمر بن الخطاب يخاطب الملك كما تصور شاعرنا:
«عمر: يا بن أبىهم!

ليس في قبضتا إلا سلاح
في يمين الله
لامع حدة
اسمه الحقُّ الصراخ
وهو، لو تعلمُ، أمضى
من سيف الأرضِ، من صولتها،

(1) سليمان العيسى – ابن الأبيهم الإزار الجريح – كلمة عابرة ص ١٠-٩

طولاً وعرضها
 قد حملناه رسالة
 وسللناه عدالة
 فذوو الناج، وأبناء السبيل
 نحت هذي الدوحة السمحاء
 أكفاء، سواء في المقيل

* * *

يا بن أيهم!
 جاءني هذا الصباح
 مشهد يبعث في النفس المرارة
 بدويٌ من فزاره^(١)
 بدماء تتظلم
 بحراب
 تتكلّم
 مقلة غارت، وأنف قد تهشم
 وسألناه،
 فألقى فادح الوزير عليك
 بيديك،

(١) قبيلة عربية.

قال، قد أشبعته ضرباً وقصفاً
بيديك،

في فناء البيت قد هشمته وجهها وأننا
أصحيح؟..
ما بن أيهم!
أصحيح؟..

ما أدعى هذا الفزارِيُّ الجريء!

* * *

جبلة: «بهدوء»

لست من يذكر أو يكتئم شيئاً
أنا أذهب الفتى، أدرك حقي بيدها.
عمر: أي حق، ما بن أيهم؟..

عند غيري يُقهر المستضعف العافي ويظلم
عند غيري جبهة بالإثم، بالباطل، تلطم
نزوات الجاهلية
ورياح العنجالية
قد دفناها، أقمنا فوقها صرحاً جديداً
وتساوي الناس:
أحراراً لدينا وعيذاً
يأخذ الحق القضاء

وهو - لا أنت - الذي يُنفِدُ عندي ما يشاء^(١)
 فرأى سليمان التاريخ..
 قرأ وأهل التاريخ وأعاد صياغته..
 «وما أدعى أنني أحسنت عنه التعبير..
 لقد كان هذا رائد^ي
 وصادقاً حاول^ت^(٢)

نعم.. فتح شاعرنا «الأغاني» عَرْضاً «كم يخطر على باله أن يبعث
 بشيء بعد عمل مجده» وإذا بالعروبة تتعلّق أمامه في حادثة صغيرة قد
 يقرأها الإنسان العادي فلا يجد فيها ما وجد سليمان العيسى.

«هناك جانب آخر، لعله أضخم وأهم بكثير..
 الموجة الجديدة.. الفتح العربي الذي حمل الرسالة ناراً ونوراً..
 إلى العالم..

ودك في مثل اللمح أقوى مملكتين في ذلك الزمان..
 وراح يقيّم على أنفاسهما موضوع ضخم.. تهبيثه كبيراً..
 وأي قلم صادي يمس مثل هذا الموضوع دون أن يهاب؟..
 لقد كتب عنه الكثير..
 فنا وأدباً - ولا أقصد التاريخ - ولكنني ما أذكر أني ارتاح لقراءة
 شيء مما كتب كل الارتفاع..

(١) سليمان العيسى ابن الأئم الازار الجريح - لمحات ١٠ ص ١٣٨-١٤١ .

(٢) نفسه ص ١١ .

هناك أقلام قوية..

وثقافة تاريخية واسعة.. وجهد محمود.. لا أنكر ذلك، ولا ينكره أحد. ولكنني كنت أهداً أحس أن القلم الذي لم يفتح أمامه أكثر من نافذة يرى منه النور الذي يريد..^(١)
ماذا قرأ سليمان العيسى؟..

وكيف قرأ سليمان العيسى هذه الحادثة الصغيرة الكبيرة؟..
لا يقرأ التاريخ من لا يعرف الغوص..

لقد كان عمر بن الخطاب يعني عالماً جديداً حين قال لجبلة:
«إن الإسلام قد جمعك وإيهاء»..
ولاني لأرى فيها كلمة من تلك الكلمات الفاصلة التي تخت
مرحلة، وتبدأ مرحلة من التاريخ»^(٢)
«إن الإسلام قد جمعك وإيهاء»

هكذا قال عمر.. وهكذا فصل عمر بين مرحلة ومرحلة. أصرّ
الخليفة على تطبيقه مبادئ الإسلام دون النظر إلى المكانة
الاجتماعية.. الناس سواسية.. الناس أنداد «في ظل الرسالة»
لم يدار عمر مرتبة جبلة..

أراد أن يأخذ حق الفزارى الضعيف. عنف الملك الجاهلى

التصرف:

(١) نفسه ص ١١-١٢.

(٢) نفسه ص ١٢

اعمر: نزواث الجاهلية

ورياح العنجهة

دعك من هذا، وجنبني للجاح

والجهالة!

أنتما ندان.. في ظلّ الرسالة^(١)

ان الرسالة واضحة إذن.. وعمر يتمسك بالرسالة.. ويغضب الملك

ويهدد بالارتداد.. وماذا عن المرتد؟..

اعمر: عنت المرتد بالسيف تحز

عالِمٌ نبية

كُلُّ صدِيعٍ فية

بشبا السييف يداوِي

وأعزُّ الناسِ

بالصلوُوكِ،

بالعبدِ تساوى^(٢)

* * *

إذن من اعتنق الاسلام لا يجوز له أن يعود عنه ولا قتل ولو كان ملكاً..

(١) نفسه ص ١٤٥

(٢) نفسه ص ١٤٧

العودة عن الاسلام صدح يحب أن يداوى
والدواء في حد السيف..
منطق القوة؟..

الرسالة واضحة.. هي كالحق.. كالشمس.. كالنهار وضيئه..
هي أخلاق ثمارس وليس مجرد اعتناق خارجي مبتذل فارغ..
الدين هو الدين،
يطبق كله.. أو لا يطبق..
وها هو عمر، بعد أن بين لصاحبه الملك كيف يقوم الارتداد —
الصدع، يشرح له الرسالة كما يفهمها هو:

وَغَذَّ إِلَى الْحَقِّ وَضَيَّقَ كَالنَّهَارِ
مَا حَمَلَنَا الدِّينُ زِينَةً
وَلِبَاسًا فِي الْمَدِينَةِ

حِيشَما شَفَنا. خَلَعَنا وَرَجَعَنا..»^(١)

أجل.. ليس الدين ثوراً نزين فيه أنفسنا.. ليس الدين لباساً نلبسه
ونخلمه متى شئنا.. إنه التزام.. التزام بمبادئه وأيديولوجية معينة تطبق
بحذافيرها.. ليس للملك درجة أعلى من الفقير المسكين.. هكذا
جاءت الرسالة.. كلنا بشر.. كلنا سواسية.. كلنا نحمل روحًا.. كلنا
نحمل جسدًا

(١) نفسه ص ١٤٨.

«نجازي المعتمدي ضرأ بضره»

هكذا قال عمر للملك الغاضب الذي أراد الارتداد عن الدين.

«بشرٌ مثلك من عقرةٌ

روحًا، وهامة

تحت أقدام انزعاجك

تحت مجرتون هيأجك

لا تمارِ

عد إلى الحقد مضيئاً كالنهار..^(١)

فتح سليمان الأغاني عرضًا..

كمن يخطر على باله أن يبعث بشيء..

بعد عمل مجهد..

وتعلمت العروبة.. اختلطت بالرسالة.. صارت هي.. صارت قصيبة
واحدة.

«الفتح العربي حمل الرسالة ناراً ونوراً إلى العالم.. ودُكَ في مثل
اللحظ أقوى مملكتين في ذلك الزمن.. وراح يقيم على أنقاضهما
مفاهيم جديدة، يضع الركائز والأسس لحضارة جديدة»..

فتح سليمان الأغاني عرضًا..

كمن يخطر على باله أن يبعث بشيء..

(١) نفسه ص ١٤٩ .

بعد عمل مجهد..
وقرأ.. وكتب..

استقراً واستنتج.. بحث في فه عن الجوهر.. شرح القضية –
الرسالة فناً هو بين المسرح والشعر.. لا بهم.
«أثراني أجرؤ.. فأقول المسرحية؟»..

إن أشباح العمالقة من «شكسبير» الى «إيسن» الى «بريخت»
لتتصبب أمامي في هذه اللحظة..
وما إخالها الا تبتسم مشجعة⁽¹⁾

نعم.. فتح سليمان «الأغاني» عرضاً
كمن يخطر على باله أن يبعث بشيء
بعد عمل مجهد..

ففتح للريح نوافذ أعادته الى بجنة وعمر.. عاشهما قضية.. تخلص
من مرضه اللذيد الذي اجتاحه منها عندما سكانه.
كبهما قضية واستسلم لفترة ما بعد العاصفة الهوجاء..
لقد تطهر سليمان بعد أن فتح «الأغاني» نوافذ لم تبق ولم تذر
فكرة إلا واسكتتها فيه، في رئيه..
«أما الكاتب العربي الذي يعرض رئيه للهواء الطلق.. للنور من آية
نوافذ جاء..».

الكاتب الذي يأذن للرياح أن تهُب عليه من كل جانب – على

(1) نفسه ص ١٣-١٤.

حد تعبير غاندي - غير خائف أن تقتله من مكانه، أو ترحرحه عن موضعه.. فهذا الذي أبحث عنه.. وأنتي من صميم قلبي أن أتلعذ على يديه.

ما أجمل أن يبحث الفنُ عن الجوهرِ
جوهر الإنسان الذي يبقى!

ولم يكن الإنسان يوماً مثلاً أعلى كله.. أو تقىصه كله..
إن الإنسانية لتجلى في نقاط الضعف أحياناً أكثر مما تجلى في نقاط القوة..

وربما وجدنا في الضعف البشري درساً وعبرة يتركان في نفوسنا إحساساً أعمق وتأثيراً أبعد مدى..^(١)

فتح سليمان «الأغاني» عزضاً
كمن يخطر على باله أن يبعث بشيء..
بعد عمل مجهد..

وما عرف سليمان أنه بذلك يفتح التواقد كلها للربح تأخذنه إلى أرض بعيدة بدأت فيها الرسالة العربية وأضحة الحق، كالشمس.. هذه القضية التي أحبها ورضعها مع حليب أمها..
العروبة..

نحن الشباب لنا الفد
ومجده المخلد

(١) نفسه ص ١٢ .

نحن الشباب

لنا العراق والشام و مصر والبيت الحرام
نشي على الموت الرزقان إلى الأمام إلى الأمام
و فكر الشاعر عندما سمع هذا النشيد تلوه الحناجر بحماس:
«نحن إذاً لسنا قرية..»

ولا مدينة فحسب.. نحن العراق والشام و مصر والبيت الحرام..
نحن كل هذا إذاً..^(١)

العراق والشام و مصر والبيت الحرام كلها بلد واحدة لكنها تنتظر
ميلاداً من ضياع..»

«الأرض العربية يا انطاكية ما تزال كلها مثلك ضائعة.
تمخض.. وتنتظر ميلادها العظيم.. أجل تمخض.. وتنتظر بالرغم
من جميع الكوارث». ^(٢)

العروبة قضية تكتب ثراً.. تكتب شعراً المهم أن تكتب..
شاعرنا لا يجعل الشعر قضيته بل العروبة قضيته..
ليس الشعر همه.. بل العروبة هي الهم..
«الذى أريد أن أقوله للناس.. للإخوة.. للرياح.. لكل من أعرف،
ومن لا أعرف..»

(١) باقية نشر ص ٣٠ .

(٢) باقية نشر ص ١٠١ .

إنني لست شاعراً..

تلك هي الحقيقة التي تكشف أعمق أعمقني بالرغم من الدواوين
التي صدرت لي والتي ستصدر أبداً.

الشعر ليس همي..

ليس الشعر قضيتي..

أنا انسان عربي رأى نفسه يقتلع من داره..
تحت شجرة التوت في قريته..

يحرم لغته وتراثه وأرضه وقريته فجأة.. ويلقى في الغربة مشرداً أكثر
من أربعين عاماً..

ونظرت حولي..

وأنا طفل صغير..

كيف أدفع عن نفسي؟..

وماذا أستطيع أن أفعل ويفعل أمثالي؟..
ووجدت الطريق.

حلم ضخم سأحمله ورفافي.. سنقاتل في سبيله حتى النفس
الأخير..

الحلم الذي عشت من أجله وما زلت أعيش هو أن تكون لي دولة
عربية كبيرة قادرة على أن تحمي أطفالى فلا يقتلهم من يشاء ساعة
يشاء من بيوتهم في ظل شجرة التوت التي يلعبون تحتها..

ويكتبون أولى قصائدهم تحتها
 ويلقى بهم الى مصير أسود يتلقفهم في الطريق^(١)
 التزم شاعرناعروبة.. دون أن يؤكد على المصطلح هذا.
 التزم شاعرناعروبة دون أن يقول أنا ملتزم.
 لا أحب كلمة ملتزم ولا كلمة التزام
 لأنني أرى التعبير مصطنعاً مهما أجيئت صياغته
 قلت أكثر من مرة:
 إن الإنسان لا يلتزم لون عينيه، ولا نفسه الطبيعي، ولا جلده الذي
 يعيش به.

هذه الأشياء هي طبيعته، هي وجوده فلماذا نصر على أن نفعل لها
 التسميات؟^(٢)
 لكن شاعرنا التزم وظل ملتزماً سواء رضي بالمصطلح أم لم يرض..
 التزم شاعرنا القضية – الحلم..
 أشدُّ عليك.. والخمسون تركض في دمي رفقة
 أشدُّ عليك.. جمراً ينبعث الواحات محترقاً
 أشدُّ عليك.. قافيةً وموسيقى
 ورمزاً يأكل العتماث..

(١) هامة نثر ص ١٦٣-١٦٤.

(٢) هامة نثر ص ٢٤٠.

يَصْلُبُ نَفْسَهُ فِي الشَّمْسِ.. عَيْنُ الشَّمْسِ.. تَحْدِيقًا
 أَشَدُّ عَلَيْكَ يَا هَتْيَ الْعَظَلَمُ، وَيَا ارْتَعَاشَ يَدِي إِذَا صَافَحْتُ، يَا شَفْقَتِي
 إِذَا حَدَثَ، يَا جَسْدِي
 أَشَدُّ عَلَيْكَ يَا وَطْنِي الْكَبِيرُ.. أَعْيُرُكَ التَّحْدِيقَا
 لِتَرْكَضَ فِي عَيْوَنِي، فِي دَمِي، فِي نَبْرَتِي رَهْقاً^(١)
 أَجْل.. .

لقد «جعل سليمان العيسى من الوحدة القورمية العربية همه العظيم
 الذي يرافقه في حله وترحاله، ويأكل معه ويشرب ويتجلى في كل
 خلجة من خلجمات فؤاده»، في ارتعاش يده عندما تصافح، وحركة
 الشفاه عندما تتحدث، وفي كل خلية من خلايا جسده.

هذا الوطن الكبير هو أعز ما عند الشاعر
 يضحي له بأئن ما لديه ليراه أمامه، يركض في عينيه وفي دمه
 وفي نبرته رهقاً^(٢) الحلم العربي رمز.. .
 رمز للألم والقسوة وللقوة معاً

رمز للتعمد على الطغيان القاسي.. الحلم العربي «حلم أشد حقيقة»
 من وجود الشاعر.. حلم حقيقي.. لا.. بل أكثر من حقيقي..

(١) سليمان العيسى — أغاني بريشة البرق — قصيدة أقاتل باسمك العريان.

(٢) د. أحمد أبو حاتمة — الالتزام في الشعر العربي — دار العلم للملابين ط ١ —

٤٨٣ ص ١٩٧٩.

حلم تجسد في انتصار تشرين.. أعاد بعض أمل الى نفس الشاعر..
الحلم قد يتحقق.. الوحدة.. التحدى.. هل صار الحلم حقيقة؟..

«أشدُّ عليك في تشرين تمحى دونك الأبعاد

وتحترقُ الصحاري والحدود، ويلتفي أهلي بلا ميعاد

وتسقط كلَّ أضفني

واكتب بالدمِ العربي في الجولان أغبتي

وأعبر، أعبر الماء الذي حزوا به رئتي

وقالوا: أنت أسطار

وقالوا: مصر لا عرب، ولا قربى، ولا دار

ومصر كتونس، كظفار، كالقرآن من جسدي أتخذ؟..

أضوء الشمس، نبض البرق، لون العين، يختار؟

تحدى يا صلاتي الليل، والتابوت، والغرقا،

وشدئني على الصحراء سيفاً يمحق العتمات محترقاً^(١)

فع سليمان التوافت كلها للرياح والتزم دون أن يربد للتزامه
اصطلاحاً..

ان التزام سليمان العيسى هو التزام نابع من الايديولوجية البعثية
القائمة على مفاهيم الانبعاث القومي العربي والوحدة العربية الشاملة،

(١) سليمان العيسى — أغان بريشة البرق — قصيدة اقلال باسمك العريان.

وامتداد الحضارة العربية في الفكر والدين واللغة والتاريخ والقيم الإنسانية.

ومبادئ الاشتراكية العربية النابعة من صميم حياة العرب وأمكانياتهم ورسالتهم الإنسانية، وتغلب العرب على محتتهم الكبرى التي نكتبهم بها الصهيونية ومؤيدوها من قوى الاستعمار، وتحرير الأرض العربية من كل ما هو غير عربي، وكل ما يحمل في ثناياه خطراً على العرب وحضارتهم ووجودهم ومكانتهم بين الأمم.

ويتسم التزام العيسى بالثبات وازدياد التعمق مع الأيام وتوظيف الشعر في سبيل القضية التي آمن بها، وقضى عمره في العمل من أجلها^(١)

توظيف الشعر في سبيل القضية؟..
أجل

نردد مع شاعرنا الكبير..
«الشعر ليس همي
ليس الشعر قضيتي..
إنني لست شاعراً

تلك هي الحقيقة التي تكشف أعمق أعمامي»
ليس الشعر قضيته.. القضية هي الجماهير العربية منذ القصيدة الأولى وحتى الآن.

(١) د. احمد ابو حافة، الالتزام في الشعر العربي — دار العلم للملاتين ص ٤٩٠ .

وحين وزع المقاتلون الفلسطينيون في أصقاع الوطن العربي
وأصقاع العالم بعد مجزرة بيروت نرى شاعرنا يتقد حماسة وقد اقتبس
عنوان القصيدة «الفلسطيني الطائر» من أسطورة «الهولندي الطائر»
المعروفة..

«في الغرب يزرعونك
في الشرق يزرعونك
في العتمات السود، في الضباب
في رجفة الحراب
تودُّ لو تحموكَ من ذاكرة التراب
ومن رؤاهم..»
حين تنعلق الأهداب
عليك كابوساً، وحلماً أدمِن العذاب
لكنك الباقي على الزمن
حكاية الوطن
يا رائع الشقاء والمحن
يا سيد الشقاء والمحن
حكاية الشعب الذي يقاسم الإله
بقاءه ويدفع الحياة
من دمه المحقق،
المذرور في ضميرنا،

وفي ضمير قاتلية
يدع الحياة..^(١)

حكاية الوطن كابوس وحلم أدمي العذاب..
حكاية الوطن حكاية «رائعة الشقاء والمحن»
حكاية الوطن سيدة «الشقاء والمحن»
حكاية الوطن تصارع.. تبقى.. تحيا رغم الموت المزروع
والمقصود..

حكاية الوطن دم جف وذر في الضماير.
حكاية الوطن دم جف ليطهر، ويؤرق، ويزلزل.
حكاية الوطن جذور تهاجر.. تهاجر..
وشاعرنا يعرف بالضبط ماذا تعني الهجرة.

وماذا يعني الاقلاع،
وماذا يعني أن نبىش في الذكريات الأليمة..
يعرف شاعرنا تماماً ماذا تعني الهجرة:
«يا أيها المذرور في ضميرنا..

وفي ضمير الأرض
يا لهب..

يطهر العرب
يؤرق العرب

(١) قصيدة الفلسطيني الطائر وقد كتبت عام ١٩٨٢ .

يا سورة الزلازل في جنازة العرب
في الشرق يزرعونك
في الغرب يزرعونك
وراء صمت الصمت والنسيان يزرعونك

يا هجرة الجذور في التراب
يا قصة العذاب
تأثيري في لحمنا، في دمنا الفسح
في عتمات الوطن، الزنزانة، الجريح
عساهم إن أطبقوا الأجيافان
في مصنع القتل الذي يدعونه الزمان
يستشعروا الأمان
عسى يدُ القاتل تستريح
من قصة الميت الذي يقاسم الإله
بقاءه، ويدع الحياة
من دمه المنزور في كل الجهات..
يدع الحياة^(١)
فبح شاعرنا الأغاني غرضاً

(١) قصيدة الفلسطيني الطائر — سليمان العبيسي.

كم يخطر على باله أن يبعث بشيء
بعد عمل مجهد

فالتفى عمر بن الخطاب والتفى جبلة ورافقهما أبو راقفاه..
وفتح الشر والحق و الاستثمار على الوطن — القضية سموه
 فأعادها شاعرنا إلى مصدرها بعنف
 ورفض للقضية أن تموت ..

إنه ليس شاعراً
والشعر ليس همه
ليس الشعر قضيته
إنه حالم كبير ..

والحلم دولة عربية كبرى تستطيع أن تحمي أطفاله ..
يخشى سليمان الاقلاع ..

لا يكتب الشعر للشعر
بل يكتب القضية التي تورقه شرعاً
«ما أجمل أن يبحث الفنان عن الجوهر»
هذا ديدن شاعرنا ..

أجل .. من العروبة ينبع شعره ..
وفي العروبة يصب:

«أنا في أعماق قومي صرخة
تتشظى لا قصيدة يقرأ»

حسب لحن ينتهي في وترٍ
أنه في صدر غير يبدأ
«الشعر القومي الذي يلقي بظلاله وألوانه على كل ما في الوجود
من حولي»

على كل ما يمر بي في الحياة.. الحزن، الفرج، الحب، الطبيعة،
المرأة، الوطن، الأطفال، الناس، الثورة، الاشتراكية، الاصدقاء،
الخصوم، إلى آخر ما يعرض للشاعر في هذا الشريط الذي نسميه
العمر..

هذا الشعر القومي هو السمة الأولى لنتاجي، هو الطابع المميز لكل
ما قلت وما سأقول

هو النهر الذي تنبع منه كل السوقى، لنصب فيه:

«وتسألني..»

وظلَّ الصمت يرهقني
يشدُّ عليَّ يسحقني
وألفُ يد تمزقني

لماذا لا يرف الورد في بستانك الشاعر؟..

لماذا لا يضيء دربك مبسم ساحر؟..

أما من واحة خضراء تغوي المرهق المجهد؟..

أما من خمرة غير التي في الكأس، إن أنشد؟..

بلى.. يا طفلي الحلوة
لكل سلافة نشوة
وأجمل من مأسينا
حياتك بسمة ربنا
وأحلى من أعاصيري
شعاع نصف مخمور
يصب بكأسى السحرا
ويجري في دمي شمرا
ولكنني تورقني
طيف ما تفارقني
تشد على.. تسحقني
ملايين من المقل
من الايدي.. تلوح لي:
عطاش نحن.. لا قطرة
وغرقى نحن.. لا نفلرة
وجودك قطعةً متأ
أشيخ عنا..
إن استطعت النوى، خُتنا
وجرب بعدها الفنا
وأرمي في الدجى بصرى

مدى النظر

وأغمض في اللفلى شعري

ويملي الحرج في صدري

في مثل هذه المقلوعة الشعرية، وغيرها من المقاطع، عبرت عن ذلك بوضوح.. وما أخالني أضيف شيئاً إلى هذا التعبير الشعري حين أحارول الكتابة عنه..

لا أستطيع أن أفهم الحرية على أنها مسألة فردية، تتعلق بوجودي وحدي.. سأكون واهماً إلى حد السذاجة إذا تصورت أن خلية بمفردها تستطيع أن تكون حرة في جسد مريض^(١).
فتح سليمان كتاب التاريخ عرضاً،

بل فتح سليمان عينيه

فوجد العروبة تتألم

أنشدها ل هنا لا ينسى

صارت في أعماق الذكرى

نشيداً أحانه تحفظاً

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر - ص ٢٢١-٢٢٣.

الشعر بمفهوم سليمان العيسى

«في المجموعة الكاملة التي حملت عنوان «شعر سليمان العيسى» والتي صدرت منذ أمد قريب عن دار الشورى في بيروت.. يجد القارئ مقدمة مكثفة أو جزء فيها — أو حاولت أن أوجز — ملامح هذه التجربة تحت عنوان « قطرات ضوء على الطريق » .. وأعود إلى هذه المقدمة المكثفة ..

إلى هذه القطرات الآن لأجد لها تومياء، وتكلّفي بالإشارة. وتبقى نقاط وزوايا عديدة تحتاج إلى الإضافة. ولكنني مع ذلك سأقتطف منها جراح الأمة وجراح الفصيدة التي عانيتها منذ فتح عيني على الحياة ..

تقول المقدمة:

- الشعر نبع الحياة العميق .. قمة كفاح الإنسانية.
- حين قدر للكلمة أن تحمل جناحين، أخذ الإنسان يحقق معناه بدأ تاريخه الجميل.
- إنني لا أستطيع أن أتصور إنسانية بلا شعر. ولكنني مع هذا لست شاعراً.
- أنا خلية في جسد.. تبحث عن ملايين الخلايا من آخراتها وتكافع بلا هواة، لكنّي يتحرك الجسد، وتفتح الحياة.

- وجسي هو امي.. هذه الأمة العربية العظيمة، المنكوبة، الممزقة التي مدت جسور الحضارة بيدي و بين العالم منذ وجد العالم، وكانت الحضارات.

- من هنا.. تبدأ قصة الشعر في حياتي.. وهنا سنتهي. والشريط الذي سيعرضه ديوان سليمان العيسى على القارئ ليس إلا حلمًا رائعاً يقاتل ليتحقق.

- كل منجزات التاريخ العظيمة كانت في يوم من الأيام أحلاماً عظيمة. ومن هذه القناعة انطلقت، وما زلت مصراً على قناعتي وأحلامي الصلبة.

- الحلم هو الصحة. والواقع الذي من حولي هو المرض، والمرض طارىء مهما طال ومهما استشرى. والصحة هي الهدف. والكفاح من أجل هذا الهدف هو شرط وجودنا ولا بد للشعر أن يمتلك هذا الشرط ليكون شعراً في رأبي.

- أنا جزء من أمي. ونحن جزء من الإنسانية — ولا سيما المقهورة المعدبة منها — تريدني أن أكون صادقاً معها، تريدني أن أتنفس بريئي، وأحس بأعصابي وأدافع عن وجودي المهدد.. عن انسانيتي.. وعندي.. سألتني الإنسانية كلها، وأحياناً فيها، وتحيا في.

- كانت الجماهير العربية — وما تزال — قصيدي الأولى أعطتني أكثر مما أعطيتها. كانت جماهير من الكبار أضفت إليها مؤخراً جماهير الأطفال.. كما تعرفون.

- العروبة التي غبّتها — وما زلت — نسيج حضاري هائل تشابكت فيه ملابس الأصول والفروع لتعطى الإنسان أكثر مما أعطاه شعب على وجه الأرض:

وأبعد نحن من عبي
حمورابي، وهانى بعل بعد
ومن زيتوننا عيسى
ومن صحرائنا أحمد
ومنا الناس — يعرفها الجد
وكنا دائماً نعطي وكمَا نجحذ

- قديماً قال أجدادنا: الشعر ديوان العرب. أما أنا فلن أتجاوز الحقيقة إذا قلت: الشعر كهرباء العرب. من تجربتي الشخصية بين المحيط والخليج، وصناعة واسكندرونة أحذت العبارة، قل: عشتها رعشة رعشة.

- التجربة هي الينبوع الذي يسقي الإبداع. كيف تخضر شجرة بلا ماء؟ ..

- مهمة الكلمة أن تحول إلى طاقة، إلى فعل. ان الكلمة ليست مجرد شكل لفظي يتألف من حروف وابقاعات صوتية إنها جزء لا يتجزأ من وجودنا، من حقيقتنا، من سلوكنا اليومي.

وإذا لم تحمل رصيداً من هذه الحقيقة، ظلت شيئاً بدور في الفراغ ولا يترك أي أثر.

بأيجاز: الكلمة هي الانسان^(١)
سليمان العيسى إذن ليس شاعراً رغم دواوينه. وليس ملتزماً رغم
صوت القضية العالمي..
هو حامل القضية... هكذا يريد لنفسه أن يكون... وهذا هو
الشرف الأكبر...
الشعر نشيد.. الشعر موسيقاً...
«أنا من المؤمنين بأصالة موسيقانا العربية..»
وإذا ما تجلت في شيء، فإنما تجلت في الشعر... الشعر العربي..
صانع «السمfonيات» الرائعة من أول معلقة إلى أحدث قصيدة غناها
شاعر أصيل.
لقد قام الشعر العربي «بنشاد»..
والإنشاد غناء..
أما نحن..
فقد اخترعنا الإلقاء
والإلقاء — مهما أجاد — كلام، ونبرات.
لا تقرأ الشعر...
بل أنشده..
غنّه — إذا استطعت —
تضيع يدك على كلمة السر فيه.

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات — تونس ١٩٨٨ .

والفناء همس داخلي ترناح له النفس، وبهتز الشعور.
موسيقا صامتة، تناسب في الأعصاب...
قبل أن يكون أصواتاً، وأنفاماً تُسمع.
موسيقا الشعر إذاً شيء مقدس.

شيء من صميم اللغة من صميم التراث...
ولكن أيظل شعرنا على عموده القديم؟..
أليس في موسيقانا، في لغتنا، متسع لأنلوان من النغم خديدة؟..
هنا آتني إلى موضوع «الفعيلة» التي اتخذها معظم شعراتنا الشباب
أساساً للوزن..

بدلاً من البيت القديم الراسخ بشطريه المعروفيين... والتي استعنث
بها — وسوف أستعين — في كل محاولة.
اتخاذ «الفعيلة» أساساً لوزن الشعر ليس حرية، ولا انفلاتاً، كما
يتوهم الكثيرون.

جرّب أن تعزف نفمة على آلة واحدة.. على عود مثلّاً..
ثم جرب أن تعزف النغمة نفسها على خمس آلات أو عشر...
ما أشك أنك ستلقي من المشقة في الثانية أضعاف ما تلقيه في
الأولى أحياناً.. لا لشيء،
إلا لأن توزيع النغمة نفسها على «جروقة» كاملة يكلف جهداً، وعرقاً
يعرفه موزعو الألحان ويأرقون من ورائه الليالي الطوال...

إلنني أرثي لمن يسمون النظم على أساس التفعيلة «شعرأً حراً»
 ولكنني أشد رثاء لمن يجربونه وهم يظنون أنهم قد تحرروا من القيود..
 إذا كان في أوزاننا القديمة قيد محبب...
 ففي التجربة الجديدة ألف قيد...
 كلها محبية.
 ولنحضر الميوعة.. والتزيف..
 يايجاز أقول:

كثُت اختار موسيقا العمود حيث أراها أصلح، وأغنى. ثم أعدل
 عنها إلى موسيقا التفعيلة في جو آخر.. وكان مثلي الأعلى في ذلك
 كله هذا السحر العلال.. هذه الموسيقا الخالدة التي تهدر بألف لون
 ولون في القرآن الكريم:
 اقرأ معى هذه الآيات الكريمة على سبيل المثال^(١)
 «فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان.
 فبأي آلاء ربكمَا نكذبان.
 فيومئذ لا يسأل عن ذنبِ إنس ولا جان.
 فبأي آلاء ربكمَا نكذبان.
 يُعرفُ المجرمون بسيماهُم، فيؤخذ بالتواصي والأقدام.
 فبأي آلاء ربكمَا نكذبان.
 ولمن خاف مقام ربِّه جتنان.

(١) سورة الرحمن.

فَبَأْيُ آلَاءٍ رِبِّكُمَا تَكْذِبُونَ
ذُواتِنَا أَفَنَانَ.

فَبَأْيُ آلَاءٍ رِبِّكُمَا تَكْذِبُونَ
فِيهَا عَيْنَانَ تَجْرِيَانَ.

فَبَأْيُ آلَاءٍ رِبِّكُمَا تَكْذِبُونَ
فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانَ.

أليس في هذه الموسيقا الخالدة ينبع الشعر الجديدة. ما أجدنا
أن نتلمذ على بيان السماء

أحب ألا أدع الحديث عن موسيقا «التفعيلة» قبل أن أشير إلى نقطة
صغرى، ولكنها، على صغرها، تهمني كثيراً..

تعودت الأذن العربية على الأجيال ان تسمع نغمة البيت المحدد.
ستتعود هنا أن تسمع نفحة «الجملة» أو «المقطع» الكامل، يقوم في
كثير من الأجيال مقام البيت الواحد في الشكل وفي المضمون على
السماء.

هل تاذن لي بمثال؟..

إليك هذا «المقطع» على لسان جبلة يخاطب فارسه الغساني، قبل
أن يوجهه برسالته إلى عمر:

قد آنآن تلتقي اللحمة والشدى

يا عمرو، إنا — مثلما تعرف — كنا أهدا

دنا الحمى أو همدا

في الدهر كنا أهدا

أرومة واحدة.

روحًا ويدا..

إنه — كما ترى — من بحر الرجز، هنا البحر المرن المعروف..

ولكنك تظلمه كثيراً إذا قسمته خلال القراءة إلى أسطو وأبيات..

إنه «جملة موسيقية»

إنه «مقطع واحد»..

ومرة أخرى..

أراني ألجأ إلى القرآن الكريم أنتس منه المثل. اقرأ معى هذا الوعيد

المزجر:

سأصليه سقر

وما أدرك ما سقر

لا تبقى ولا تذر.

لزاحة للبشر.

عليها تسعة عشر.

ألا نحسن في هذه الآيات الخمس القصار دقة واحدة متصلة في

النغم؟..

«جملة موسيقية» رائعة..

إن صبح التعبير؟..

• • •

وربما سأله سائل:

لَمْ تَعْشُنَ بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ، فَتَكْتُبُونَهُ مُوزَعًا عَلَىٰ فَقَرَاتٍ.. فِي بَضْعَةِ
أَسْطُرٍ؟..

أَمَا أَنَا فَأُعِيدُ لغْتَنَا وَتَرَاثَنَا مِنَ الْعَبْثِ..

يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنْ تَوزِيعَ الْبَيْتِ عَلَىٰ سَعْلَوْرٍ لَا يَصْحُحُ إِلَّا فِي حَالَاتٍ
مُعِينَةٍ.

حِينَ يُرِيدُ الشَّاعِرُ أَنْ يُشْحِنَ الْعِبَارَةَ، أَوْ يُزَوِّدَهَا بِأَنْفَعَالٍ خَاصَّةٍ
هَذَا التَّوزِيعُ إِذَا، وَقَفَاتٍ نَفْسِيَّةٍ..

طَاقَةٌ يُرَادُ لَهَا أَنْ تُتَرَكِّزَ فِي فَقْرَةٍ، فِي عِبَارَةٍ مِنَ الْبَيْتِ.
وَلَنَأْخُذُ عَلَىٰ عَجْلٍ هَذَا الْبَيْتَ مَثَلًاً، بِقَوْلِهِ عَمَّرُ الْفَارِسُ الْفَسَانِيُّ
لِحَبِيبِهِ، مُعِيرًا عَنِ الْمَهِ وَسُخْطَهِ لِوَقْوَفِهِ مَعَ أَبِيهِ إِلَى جَانِبِ قِبْرِهِ، ضَدَّ
أَبْنَاءِ قَوْمِهِ الْفَاتِحِينَ:

أَحْمَى بَقِيَّةَ قِبْرِ
بَعِيْدِهِ
لَابِيٍّ، وَلَا بَأْبِيكِ
قِبْرِ يَحْتَمِيٍّ.

إِنَّ كَلْمَةَ «بَعِيْدَة» بِدَاهَةٍ انْفَجَارٍ..

تَلُوْهَا عِبَارَةٌ «لَابِيٍّ، وَلَا بَأْبِيكِ» حَامِلَةً الْعِنْفَ نَفْسَهَا، وَالثُّورَةُ نَفْسَهَا
عَلَىٰ مَوْقَفِ سَابِقٍ عَانِيٍّ مِنْهُ الْفَارِسُ مَا عَانِي..

وربما ضاعت كل هذه الانفعالات التي يريدها الشاعر إذا ما كتب
البيت سطراً واحداً بلا وقفة ولا فاصل.

تلك نقطة تفلل ثانوية على كل حال..
ولك أن تقرأ الشعر وتكتبه كما يحلو لك.

هناك القافية..

ولا بد من همسة حولها ولو طال الحديث..
إنها الشاطئ الذي تكسر عليه أمواج الشعر القديم فإذا هو صخور
وعرة مرة..

ورمال في لين الحرير مرة أخرى..
ويخطيء من يظن أن الشعر الجديد «شعر التفعيلة» يتسمى
بالقافية، أو يستهين بنبرتها الحلوة، وابقاعها الجميل..

السهولة عدوة الفن..
هذارأيي على الأقل.

أعني تلك السهولة التي تفر من الجهد والمعاناة..
لتقف على حافة الركاك وابتدا
لست من علماء التشريع

ولكتني أرى القافية في الشعر الجديد أشبه بذلك الإبهاز اللامح
الذي يصدر إلى الأعصاب إلى الجسم كله، فإذا هو يرتعش
ويستجيب.

وما أخطر أن يخل هذا الإهانة على الجسم كلها
على الحياة..

يقال: إن أقل نتائجه الفوضى والشلل
لأنني حريص على القافية،
على هذا الشاطئ الجميل،
أياً كان لون الشعر الذي أحاوله.^(١)

(١) جبلة بن الأبيهم - ص ٢٢-١٥

شكل القصيدة

«ولعل الشكل الذي انتهيت إليه في قصائدي الأخيرة:

«إلى أبي الطيب المتنبي» في مهرجان المتنبي ببغداد و «دمك الطريق» في ذكرى عمر المختار بمدينة بنغازي. و... «أضم ثراك يا خضراء» في مهرجان قرطاج بتونس و «من أين أبدأ» في يوم فلسطين بيروت لعل هذا الشكل الذي يستغل نفحة البحر الواحد، فيلونها ويتصرف بها. هو أقرب أشكال القصيدة، وأحب إلى، ذلك لأنه يحاول أن يحقق المعادلة التي نبحث عنها:
الأصالة والجدة..

الانفصال على الجديد انطلاقاً من الجنور... من الاسس المتبعة
التي بني عليها شعرنا وذوقنا العربي عبر التاريخ:
خذيني.. ليس من ورق إهابي

دم التاريخ ينبع في ربابي
أغنى.. كل آنات السبابا

حروف.. كل ملحمة العذاب
أقول قصيدة... حلم جريح

بزورق مقلة الدنيا كتابي
خذيني.. لست رجع صدئ

ولا عددا..

ولم آتِ المدينة كالغريب يدا
ووجهها ليس يعرف في مضارب أهله أحدا
أنا التاريخ والبلدُ
أنا العددُ

وتبقى الأرض، والأرض التي تلدُ
على ناب الأفاعي والخناجر، لم تزل تلدُ
وتحمل وجهها العربي عنتبت المأسى فيه والأحزان والشهدُ
وصارا توأمين، وهاديين، الغئي والرشدُ
أناتك.. أعرف الصحراء بيتي

وأعرف أي سر في السياطِ
خذيني ففي صميم القحط زراعي
جذوري في شرائين الترابِ
خذيني... ليس من ورق إماهبي^(١)

التراث والمعاصرة أو القديم والجديد...

«يخيل إلى أنني كفشت رأسي في هذا الموضوع الذي طال
فيه الجدل، وكثير الحديث بالفقرة التالية في مقدمة مجموعتي
ال الكاملة»:

«أن تعتصر المتنبي ولوركا
والمعري.. وغوغه
ثم تقف على قدميك..
وترى الدنيا بعينيك
ذلك هي الحداثة والمعاصرة..

بكلمة أدق: ذلك هي الأصالة فيما أرى»

وأعترف أنني كنت مشدوداً إلى التراث في الفترة الأولى
من ناجي، وكانت ظلال القرآن، والمعلقات، وديوان المتنبي تحبط
بني، وتشد على يدي، في كل قصيدة أكتبها. ولكنني ما لبست أن
انفتحت على عالم جديدة عندما أخذت أطالع بشغف الآداب
الأجنبية، وشعراء الغرب. بالمناسبة، إنني أحسن الفرنسية والإنكليزية،
وأستطيع أن أقرأ عن طريق هاتين اللغتين معظم النتاج الأدبي في العالم.
مبكراً قرأت الشعر الفرنسي وحفظت الكثير منه:

راسين، كورنيه، مولير، فكتور هيغو، لامارتن، وأخيراً بودلير،
فرلين، رامبو، إلى آخر القائمة..

وفي مطلع الشباب، كت أفرأ أيضاً الانكليزي وأثر بدرسته
الرومانسية إلى حد بعيد:

بيرون، شيلبي، كيس، وردرورث..

ثم اتسعت مطالعاتي فقرأت كبار شعراء الألمان والروس،
والأمير كان، والإسبان..

وكان غارسيا لوركا أقرب هؤلاء الشعراء إلى نفسي وأحبهم إلى.
ومرت في تجربتي بالمدارس الشعرية من الكلاسيكية.. إلى
الرومانسية، إلى الرمزية، فالواقعية الجديدة..

وكان لكل من هذه المدارس أثراً في كتاباتي.. ولكنني – فيما
أرى – لم أتأثر بواحدة من هذه المدارس كما تأثرت بالواقعية الشعرية
الجديدة... ولا سيما بعد أن عشت زمناً مع قصائد ماها كوف斯基،
وبابلو نيرودا، وناظم حكمت، وكاتب ياسين.

وترجمت مع زميلة لي تجسيد الانكليزية مجموعة سيلدن رودمان
«مائة قصيدة من روائع الشعر الحديث».

ومع هذا... فقد بقىت تجربتي الشعرية تجربة عربية تضرب
بجذورها في أعماق الصحراء.. وتنأى عن أن تتها بغير زيه العربي
الأصيل.

ليس في نتاجي كله أفر لأسطورة يونانية مثلًا.

ولم يدخل «سيزيت» وأضرابه أية قصيدة من قصائدِي.. بالرغم من
قراءتي الدائمة، وشفقي بالاطلاع. كنت ألم صديقي الشاعر المبدع
المرحوم بدر شاكر السياج ونحن على مقاعد الدراسة، في دار
المعلمين العالية بيغداد، حين كنت أجده يركض وراء كل حكاية
غريبة عن تاريخنا وأسطورة لم ينسجها تراينا ويحاول جاهداً يتبناها وأن
يتمكن منها في شعره.

كنت أقرأ ما يقرأ.. وأتدوّق ما يتدوّق.. ولكنني أؤثر أهدأً أن
أقف على قدمي، وأرى الدنيا بعيني..^(١).

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات من ٢٢٣-٢٧٤.

الخطابة في الشعر

«رأني هنا أستعير التعبير الذي يستعمله النقاد بكثرة حين يتحدثون عن الشعر المسموع النبرة الذي يتوجه أصلاً إلى الناس ليقول على مسامعهم ما يريد.

إنني لا أستطيع أن أتصور قصيدة تقال دون أن يكون لها سامع أو متلقٌ توجه إليه.. وإلا.. فلمن تقال؟.. ولماذا تقال؟..

منذ خيمة «الأدم» التي كانت تضرب للنابغة الذهبياني في سوق عكاظ، إلى آخر قصيدة حديثة ألقاها شاعر من شراء الشباب في مهرجان قرطاج بتونس.

فإن شعرنا العربي يخاطب الناس، يحاول أن يسجل همومهم، ويحمل إليهم أفراحهم وأتراحهم ومحظياتهم وأحلامهم... وما يزال... العلة ليست في الكلمة الجميلة القادرة التي توجه إلى السامعين، لتهزهم، وتصل إلى أعماقهم، وإنما العلة، كل العلة، في الكلمة الرديئة الهزلية التي لا تستطيع أن تفعل شيئاً مهما علمت نبرتها.. والتي ليست من الفن، ولا من الشعر في شيء.

قلت هذا غير مرة.. وسأردده دائمًا.

كانت قصائد المتنبي، وهو يسجل بطولات سيف الدولة، ومعارك الجيش العربي، خطباً شعرية مجلجلة كالرعد، وما أظن أحداً يجرؤ

على اتهام المتنبي بأنه كان شاعراً رديئاً حين كان ينشر روائعه تلك
 على مسمع الناس، ومسمع الدهر مما:
 وما أنا إلا سمهري حملت
 فزئن معروضاً، وراع مسدداً
 وما الدهر إلا من رواة قصائد
 فإذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً
 فسار به من لا يسير مشمراً
 وغنى به من لا يغنى مفرداً
 أما أنا، فقد كانت الجماهير العربية قصيتي الأولى — كما قلت
 — وما تزال وكانت القصيدة التي ألقيتها على الناس، أشبه بكرة النار
 أرمي بها إليهم، ليردوها إلى أكثر حرارة، وأشد اشتعالاً.
 صحيح أن الشاعر قد يضحي بشيء من «فتية» القصيدة عندما
 يعيش في صميم الجماهير، في صميم الحدث، ولكنه مطالب أبداً بأن
 يحقق المعادلة الصعبة.. أن يرقى بالناس إلى مستوى الجمال والفن،
 دون أن يضحي بأحد طرفي المعادلة وتلك هي المشكلة:
 ما أصعب أن يكون الإنسان شاعراً
 وما أروع أن يكون^(١)

(١) نفسه، ص ٢٧٤-٢٧٥.

مولد القصيدة

«الإلهام»

أومض في الأعماق لمع الشهاب
في شارع في هدأة، في اصطداب
أومض وخز البرق في رأسه
أثرك.. أمضى وراء السحاب
يظنه ضعث.. يلم الرؤى
ينسى بدأ دقت بقلب الضباب
وينطوي يوم، وعام، فما
للعمر، للتاريخ عندي حساب
عمرى هو التاريخ.. إشراقتى
هي المدى لا ينتهي، لا يجانب
وبغتة ينفض عن جفنه
 شيئاً كما رف جناحا عقاب
كما هرت فوق الشرى قطرة
من غيمة مجهولة، من سراب
وهم... أعادت؟.. إنه صوتها
أعرفه، يهمس خلف الحجاب

يشتد، يحتاج بلا موعد
 بلا صدى، ينذرني بالعقاب
 يضيء بالذكرى... يصب السما
 في شفتي غمغمة من ربابة
 يا للصراع الحلو.. ما بيتنا
 أرهقته حتى استجاب..
 وهكذا تولد القصيدة في رأس الشاعر..
 ثم يبدأ الصراع الحلو المر
 مع الفكرة.. مع الصورة.. مع اللفظة.. مع الموسيقا.. مع عشرات
 العناصر الفنية الدقيقة التي لا يمكن تحديدها حتى تكتمل خلقاً سوياً..
 إنني أكتب القصيدة الطويلة من ثمانين إلى مائة من الأبيات.. في
 يوم واحد.. ثم أنفعها في يومين أو ثلاثة..
 وربما كانت عملية التتفريح هذه أهم وأدق ما في كتابة الشعر
 عندي..^(١)

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات ص ٢٧٥-٢٧٦.

عندما يغنى سليمان العيسى للأطفال

البداية الحقيقة للكتابة للأطفال كانت في اعتاب نكسة ١٩٦٧ .
قبل ذلك كتب سليمان الشعر للصغار ولكن ليس بهذا الزخم .
ـ لماذا كتب سليمان للأطفال؟...

ـ «أنقل اليكم هموي وأحلامي
يا أعزائي الصغار ..
وعندما تكبرون قليلاً
سترون أنني لم أخدعكم ..
لم أُضيع وقتكم الفض الشinin بشيء تافه»^(١)
ـ لماذا كتب سليمان للأطفال؟...

ـ «أنا اعتقد أن الشجرة العظيمة بنت الغرسة العظيمة . وأن الصغير
الذى يحمل فى طفولته فكرة كبيرة هو الذى يخلق الوطن الكبير»^(٢)

ـ لماذا كتب سليمان العيسى للأطفال؟..
ـ «شراونا — حفظهم الله — ما زالوا يخجلون من وضع بسمة
الملائكة على شفتي طفل أعني من كتابة نشيد للصغار يخجلون أو
يتربعون.. أو يتهدبون..

(١) مقدمة غنوا يا أطفال ص ١٧ .

(٢) نفسه ص ١٨ .

لا أدرى..

تغلل النتيجة واحدة..

ويغلل أطفالنا محرومين من بسمات الملائكة على شفاههم..

أعني من الاناشيد الجميلة..

من الشعر الحقيقي

ويغلل أدبنا العربي ذو التاريخ العظيم محروماً أحلى بنابيعه أعني:
شعر الأطفال..

ورحم الله استاذنا احمد شوقي الذي أحس هذا قبلى وفتح لنا
الطريق..

أهياً كان الطريق^(١) ..

- لماذا كتب سليمان العيسى للأطفال؟ ...

في مقدمة مجموعتي غنوا يا أطفال قلت:
بالشمس والهواء والماء.. تتفتح أزهار الربيع
وبالموسيقى والحركة، والغناء

ينتفع الأطفال على كل جميل ورائع
دعوا الطفل يعني... بل غنوا معه أيها الكبار..

إن الكلمة الحلوة الجميلة التي نضعها على شفتيه هي أثمن هدية
تقدّمها له.

لكي يحب الأطفال لغتهم

(١) مقدمة غنوا يا أطفال ص ١٤ .

لكي يحبوا وطنهم
لكي يحبوا الناس، الزهر، والربيع، والحياة
علموهم الأناشيد الحلوة..
اكتبوا لهم شعراً جميلاً
شعراً حقيقياً..

يتابع شاعرنا قوله:

وتواتت كتاباتي الشعرية للصغار من سن السادسة إلى سن الخامسة عشرة، وقد تمتنط الطفولة في أحدث نظريات التربية وعلم النفس إلى سن الثامنة عشرة موزعة على مراحل عدة بالطبع.

وحاولت في العام الماضي أن اجمع ما كتبه عن شعر الأطفال، فإذا هو أربعة أجزاء يربو كل منها على ثلاثة صفحات من القطع المتوسط والتقطيع الكبير..

تعصدر كلها تباعاً عن «دار الآداب للصغار» و«دار الشورى» في بيروت مزينة بالألوان والرسوم.

وتتنوع هذه الكتابات الشعرية من النشيد القصير المركز الذي يتناول حياة الطفل في البيت، والمدرسة، والشارع، والطبيعة، الخ.. إلى القصة الشعرية الصغيرة.

إلى المسرحية الشعرية التي تكتب لتلحن وتمثل.

إلى المسلسلات الشعرية التي تتألف من حلقات عدة بلغ بعضها
حادي وعشرين حلقة: ملحمة القطار الأخضر.

ولقد حرصت ما استطعت على أن تتوافق في النشيد الذي أكتبه
للصغار العناصر التالية:

١ - اللفظة الرشيقه الموحية، الخفيفه الغلل، البعيدة الهدف، التي
تلقي وراءها ظلالاً وألواناً، وتترك أثراً عميقاً في النفس..

٢ - الصورة الشعرية الجميلة.. التي تبقى مع الطفل مرة أنتقطها
من واقع الأطفال وحياتهم، ومرة استمدتها من أحلامهم وأماناتهم
البعيدة.

٣ - الفكرة النبيلة الخيرة التي يحملها الصغير زاداً في طريقه،
وكتزاً صغيراً يشع ويضيء.

٤ - الوزن الموسيقي الخفيف الرشيق الذي لا يتجاوز ثلات
كلمات أو أربعاً في كل بيت من أبيات النشيد.

إنني أحرص على:

أن يتشابك في النشيد الذي أكتبه للصغار: الوضوح والغموض،
الواقع وال幻م، المحسوس والمعقول، الخيال والحقيقة. كل ذلك
في كلمات مدرسة بعناية.

ويقى الغناء الهدف الأول من كل نشيد.

ولقد كانت دهشتي — وما زالت — أكبر من كل ما توقعت حين
وجدت الأطفال في سوريا، وفي غيرها من الأقطار العربية، يقبلون

على هذه الأناشيد، ويحفظونها، ويغنوها، ويتجاوبون معها في حماسة ولذة لم تخطر لي على بال.

إنهم يلحظون الأناشيد لأنفسهم ويبذعون لها الإيقاع الذي يروقهم، قبل أن تصل إليهم ملحة من قبل الموسقيين الذين أتعاون معهم منذ البداية لتلحين كل كلمة شعرية اكتبها للصغار، وتقديمها إليهم في عمل فني تربوي قومي متكملاً.

بقي على أن أورد في هذه الدراسة بعض الأناشيد التي يردددها أطفالنا في كل مكان، وللقارئ أن يحكم بنفسه لها أو عليها:

فلسطين

فلسطين داري و درب انتصاري
تظل ببلادی هوی فی فؤادي
ولحنناً أبیا على شفتبا

* * *

وجرة غريبة بأرضي السليمه
تبسيع ثماري وتحتل داري

* * *

وأعرف دربي وبرجع شعبي
إلى بيت جدي إلى دفه مهدي

* * *

فلسطين داري و درب انتصاري

النجار...

عمي منصور نجار
يضحك في بيته المنشا
يعمل يعمل وهو يغنى
في فمه دوماً أشعار
قلت لعمي: عندي لعبة
اصنع لي بيتها للعبة
هز الراس، وقال:
أنا أمي الاطفال
بعد قليل راح إلي
شيء حلّ بين يديه
سواء عمي منصور
أحلى من بيت العصافور
عمي منصور نجار
يبدع في بيته المنشا

سليمان العيسى

الرسام الصغير

أرسم ماماً أرسم باباً
بالألوان
أرسم علّمي فوق القممِ
أنا فنان

* * *

أنا صبّاد اللون الساحر
أرض بلادي كنْزُ مناظر
دعني أرسم ضوء النجمِ
دعني أرسم لون الكرزِ
اكتب شعراً
بالألوان
أحبّا حرّاً
أنا فنان

سليمان العيسى

وأخيراً.. لماذا شعر الأطفال؟.. لماذا تكتب للأطفال؟..
 سؤال طرح على مراراً، والجواب:
 لأن الصغار فرح الحياة، ومجدها الحقيقي.. لأنهم المستقبل
 لأنهم ثروتنا القومية الأولى...
 لأنهم الشباب الذي سيملأ الساحة غداً أو بعد غد..
 لأنهم امتدادي وامتدادك في هذه الأرض..
 ألا يكفي هذا ليشدني إلى أصدقائي الصغار؟... ويربطني بهم يوماً
 بعد يوم؟..

* * *

إني لا أكتب للصغار لأسلفهم
 ربما كانت أية لعبة أو كرة صغيرة أجدهي وأنفع في هذا المجال.
 إني انقل إليهم تجربتي القومية..
 تجربتي الإنسانية..
 تجربتي الفنية..
 انقل إليهم همومي.. وأحلامي..
 غنوا معي إذا..
 أنها الملائكة من الأطفال الذين حرموا الضوء، والفرح،
 والنشيد الجميل..
 كما حرموا الثوب، والدف، والحناء الجميل، غنوا للحرية،
 وللحب،

وللحياة..
يا أمل الحرية،
ونبض الحب،
وينبع الحب،
وفرح الحياة^(١)

• • •

هذا ونشير إلى تعليق «محمود أمين العالم» حول شعر الأطفال عند سليمان العيسى:

«وقد بهرني شعر الأطفال.

وخفت في البداية أن يكون مجرد شعر تقريري إعلامي ثقافي مع أنني في حدود هذا الشعر لست ضده. وبخاصة إذا كتب للأطفال.. ولكن عندما تأملت أكثر وأكثر هذا الشعر البسيط للغاية، وجدته شعراً بالغ العمق وبالغ الدلالة الفنية.

عندما تتأمل قصيدة النجار:

عمي منصور نجار
يضحك في يده المنشار

فالقصيدة هنا ليست صورة تقريرية عادية...

المنشار يضحك

(١) في قضيابا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات تونس ١٩٨٨ من

فأتبع هذا المنشار..

ماذا يعمل؟..

يشبه بيت العصافور أو هو أحلى منه.

فجأة تصبح دلالة هذه القصيدة البسيطة في غاية العمق ذات معنى انساني..

الإنسان وإبداع الجمال، وإبداعية الإنسان نفسه.

والقصيدة الأخرى الرسام الصغير:

أرسم ماما أرسم بابا
بالألوان

أرسم علمي فوق القمم
أنا فنان

القصيدة من أولها إلى آخرها — هي علاقة بين اللون والحرية والعلم الذي فوق القمم.

والقيم دخلت من غير تحديد فهي قيم ثقافية كبيرة تبث بهاً ايحائياً في الطفل بشر له المعنى الإعلامي التشييفي ولكن بقيمة شعرية^(١).

وهنا لا بد من الاستماع إلى شاعرنا وحول سعادته التي يلقاها حين يعيش مع الأطفال:

(١) نفسه ص ٢٨٥ .

«عندما وضعت بعض هذه الاناشيد، تعمدت وكافحْت أن أضعها في كتب الصف الأول والثاني والثالث الابتدائية، لكي يحفظها كل طالب في المدرسة.
أنا جداً سعيد بها.

تجعلني أعيش في عالم أحقق به شيئاً من هذا الحلم الذي عشت طوال حياتي وأنا أكافح من أجله.

فال موضوع ليس موضوع كتابة، فالكتابة هي الخطوة الأولى ولعلها الخطوة الثانوية جداً بالنسبة لحياة الشعر التي أعيشها مع الأطفال».
فتح سليمان كتاب التاريخ عَرضاً،
فتعلمت العربية وتعلمت الأيديولوجية فتناها...»

فتح سليمان العيسى دفتر ذكرياته
عاذ طفلاً. غنى للصغار
وغنِي معه الكبار.

إيمان بقاعي

٩٣/١٢/٢

طراد الكبيسي

سليمان العيسى شاعر جمل الشعر وسباته إلى الناس. لم يجعل الشعر رسالة لذاتها، إذ ماذا يفعل الناس بالشعر إذا كانوا معدبين ورجائعين.. ومع ذلك فسليمان يرى أنه لا يمكن تصور إنسانية بدون شعر، لذا جعل الشعر وسباته المقاتلة من أجل توفير الأمن والخبز والحرية والكرامة للناس.

نذكر سليمان: كان صوتاً هادراً في الخمسينات والستينات وقبل هذا لمن هم أكبر منا طبعاً.

وأحال أني ما أزال أسمع ذلك الصوت يترنم في جنبات الجامعات في بغداد ودمشق وفي الملتقىات والمنتديات الأخرى في شتى أقطار الوطن العربي.

سليمان يدعو الشعر: كهرباء العرب، والعرب كانت تدعو الشعر ديواناً، وأظن أن تسمية كهرباء العرب واضحة الدلالة في شعر سليمان بالذات.

قد تكون التسمية غير مقبولة من آخرين، ولكن في شعر سليمان أعتقد أن لها دلالتها، فهو الشعر الذي يجلب الناس إليه بقوته الانفعالية والعاطفية، ولا أعرف إن كان هناك فيه قوة تنويرية، أن يكفي بإثارة الحماس، وأظن مع ذلك أن تعبير العرب، أن الشعر ديواناً، أدق وأكثر

دلالة، فهو يحفظ مآثرها ويوعي جهالها وبهدب تذوقها ولهذا، فهو أخلد من شعر الانفعال أو الكهرباء.

سليمان ضد اللفظية والشكلية، بل ضد الكلمة التي لا تكون جزءاً من نسيج الوجود العربي كله.

فللأمة أوقف نفسه وحياته وشعره، منها بداً وبيداً وإليها يعود.

وهذا يفسروضوح المعبر عن نفسه في شعر سليمان، فهو يعتبر حريته حتى في الإبداع، لهذا فهو ملتزم بهذا القدر الذي وجد نفسه فيه، وإنه لسعيد بذلك، وإننا رغم قراءاته وترجماته في الأدب الأجنبية لا نكاد نجد أثراً لتلك الأداب في شعره.

إنه البدوي المكلكل على بره، أو ما أشبه ذلك، لأنه يتعجب من بشر عربية ولا يريد أساساً أن يرتوي من غير هذه البشر، وقد عبر عن هذه المرحلة بقوله:

بقيت تجربتي الشعرية تجربة عربية تضرب بجذورها في أعماق الصحراء وترفض أن تتزيأ بغير زيه العربي الأصيل.

[...] لا نستطيع أن نقول [لسليمان] لماذا تحس وتعيش هذا؟.

لماذا شعورك هو بهذه الحرارة تجاه هذه القضية أو تلك؟..

هل إن سليمان حقق ما قاله في شعره فعل؟؟..

تلك مسألة أخرى خارج نطاق هذا البحث⁽¹⁾

(1) في قضايا الشعر العربي المعاصر - دراسات وشهادات - تونس ١٩٨٨، ص

ادونيس

أرى أن سليمان العيسى ظاهرة في الشعر العربي، بمعنى هو أمامانا شاعر اطلع — كما قال لنا — على الشعر الأجنبي، إما بلغته الأصلية أو مترجمًا إلى لغات أخرى يعرفها، ومع ذلك بقى دون أي تأثير بما قرأه. وحسب تعبيره: بقى شعره لا ينزا إلا بالزي العربي الأصيل.

وبالنسبة لي، هذه مناسبة مهمة جداً لكي أطرح عليه سؤالاً بهمني كثيراً وهو، أن كلامه هنا، يشير إلى أن هناك زياً عربياً أصيلاً للشعر، كأنه يدو كجواهر ثابت، فهل فعلًا هناك زي عربي أصيل للشعر ثابت؟..

وعلى سبيل التبسيط أقول مثلاً:

إذا أخذنا عمر بن أبي ربيعة وأخذنا أبي العلاء المعربي وكل منهما يختلف عن الآخر كلية، فلهم نجد الزي العربي الأصيل، في المعربي أو في عمر بن أبي ربيعة أو في كليهما؟ أريد أن أستفهم حول هذه المسألة.^(١)

(١) نفسه، ص ٢٨٣-٢٨٤.

أحمد عبد المعطي حجازي

علينا أن نخرج أنفسنا من هذه المتعة واللهذة اللتين أغرقنا فيها
الأستاذ سليمان العيسى لكي نطرح بعض الأسئلة أو نتساءل بيننا وبين
أنفسنا حول بعض المفاهيم التي عبر عنها الأستاذ العيسى: هذه
الخصوصية أو الالتزام، وإن كان هو لا يحب المصطلح، الذي نجده
في شعر الأستاذ العيسى كونه شاعراً قومياً، ماذا يفرض عليه هذا
الاختيار من الوجهة الفنية؟..

هل يكون الشاعر قومياً لأنه يعالج موضوعات قومية؟..

وهل يكون قومياً لأنه يتكلّم عن الوحدة العربية؟..

وماذا يحب عليه أن يقول في هذا الموضوع؟..

هل يكون قومياً عندما يعبر عن انجيازه لقضية الوحدة العربية ولا
يكون قومياً عندما يرفض هذا الشعار مثلاً؟..

هل يكون قومياً بتفكيره والتزامه الأخلاقي والسلوكي والسياسي أو
هو قومي بشعره، وقوميته بشعره؟..

هل تتعدي صياغة أفكاره صياغة شعرية إلى الاختيارات الفنية التي
تفرض عليه مثلاً لغة دون لغة، أداة دون أخرى؟..

لقد تحدثت مثلاً عن أنه، بالرغم من ثقافته الأدبية الواسعة في
اللغات الأجنبية، ظل شعره ينبع من أعماق الصحراء، وقد فسر ذلك

بأنه لم يستند من الأسطورة الأجنبية كالأساطير اليونانية والبابلية والفينيقية إلى غير ذلك.

هل تعتبر الاستفادة من الأساطير الأجنبية ضد الشعر القومي؟ ..
وعندما كان يتحدث ابن الرومي، على ما أذكر، عن عظاردن:
عظارد السماوي المكان أبونا حين نسبتهم أبوهم
وعظارد عند الآراميين هو إله الفن والشعر وهو الذي كان يقتربه
العقد اسمًا لمجلة أبواللو ويرفض أبواللو لأن أبواللو اسم يوناني وهذا
قرب من الموقف الذي يتحدث عنه الأستاذ سليمان العيسى.
وحول مسألة الواقعية الجديدة، ماذا يقصد بالغبطة الأستاذ
سليمان بقوله: إنه قد عبر مختلف المدارس الفنية من الكلاسيكية إلى
الرومنطيقية إلى الرمزية ولكنه لم يتأثر بالسابقة كما تأثر بالواقعية
الجديدة؟^(١)

(١) نفسه، ص ٢٨٤ .

جعفر ماجد

هي علاقة قديمة بشارعنا الأستاذ العيسى منذ أيام الدراسة، فقد كان
نردد أشعاره ونتغنى بها في الخمسينات والستينات.

فسليمان العيسى في نظرى، ظاهرة غريبة لأنه يمثل أنموذجاً فريداً
من الشاعر الماتح بالجمهور في القرن العشرين، وقد كانت
الجماهير العربية تهتز لسليمان ولأناشيده في الإذاعات، وكانت تقرأ
بلهفة متزايدة، تلك القصائد اللاحقة التي تأثينا من حين آخر.

وذات يوم، تغير وجه العالم العربي وتغير معه وجه سليمان العيسى.
أقول: تغير، حتى لا أقول إن صوت سليمان العيسى يكاد يختفي.
أنا أؤمن بصدق تجربته وأصدقه حين يتحدث عن الأطفال رجال
المستقبل ولكنني أسأله: لماذا لم يحدثنا عن هذه التحولات الفكرية؟..
هل حدثت أشياء أهملتها في عرضك فرفضت عليك أشكالاً معينة
وأغراضها أدبية معينة؟.. هل هذه الأحداث التي جدت في العالم العربي
هي التي صرفتك عن الجمهور الكبير إلى جمهور الأطفال؟..
إن الكبار أصبحوا لا يهتزون للأغاني التي كنت تغنىها لهم من
قبل، يعني.. هل هرب عنك الجمهور أم أنت ابتعدت عنه؟..^(١)

(١) نفسه، ص ٢٨٥ .

سليمان العيسى مجيئاً

ليس الموضوع أن نتحدث عن الوحدة العربية معلقاً. أنا لم أتحدث عن الوحدة العربية إلا من منطلق واحد، طفل يتربى من أحضان بيته القرمدي، كما قلت، وهو في العاشرة، يحرم من بيته وأمه وأخيه. أرجع إلى قريتي بعد ثمانية وعشرين سنة. أزورها مرة واحدة. آخذ معى أطفالى تخرج القرية كلها لاستقبالى.

أول سؤال يطرح على: من هذا؟.. أول شخص يعانقنى ويقبلنى. يقولون لي: من هذا؟.. أجيب: آسف لا أعرف. يقولون لي: إنه أخوك تركته وهو في الثامنة من عمره. أصبح رجلاً وله أولاد.

- ومن هذه الثانية التي عانقتني؟..

- هي اختي الوحيدة..

أليست هذه مأساة في حد ذاتها؟.. هل يلومني أحد إذا تحدث عن همي القومي بعد ذلك... .

هل هذا حديث عن الوحدة العربية؟..

هل يمكن أن تكون الوحدة العربية غير هذا السؤال الذي طرحته: من هذا، فلا أعرف، فإذا هو أخي، حرمني منه لا أدرى من، سنه الاستعمار، سنه الاستغلال، سنه الكوارث التي محققتنا

وسرحتنا، لا أدرى ماذا أسميه. كل ما هنالك هي أنتي عشت هذا الواقع وعاشه كل منكم..

لا أزال تطهر الدمعة من عيني عندما أقرأ بعض مذكرات إخوتنا التونسيين، عندما كان الدرك الفرنسي يدخل إلى بيت الفلاح التونسي هنا، ويجلد الرجل أمام زوجته، والزوجة أمام رجلها، والأولاد والأطفال أمام أهلهم، ويخرج من البيت بعد أن يهينهم ويقلب كل شيء..

كيف تتصورون وضع أسرة من هذا النوع؟..

وقد قرأت الكثير عن ذلك في تونس وفي الجزائر وفي المغرب وفي المشرق وفي كل مكان.

في فلسطين طبعاً جرحنا الأكبر، وأنا أتحدث عن محنتي الأولى، عن لواء اسكندرية، لأن الجرح الصغير قد زاد في الجرح الكبير بعد ذلك عندما جاء الخجر الرهيب في صدر هذه الأمة — خنجر فلسطين. المأساة واحدة!

الدرك الذي كان يجلد الأسرة التونسية، والدرك الذي كان يجلد الناس في قريتي، هو نفسه الدرك الأجنبي.

هو الصهيوني الذي يأتي من أعماق بولونيا أو الأرجنتين ليحتل بيت أحد أصدقائي في طولكرم أو في غزة.
أحد زملائي في جامعة الأردن يقول لي:

أنا أشتاهي أن أزور بيتي الذي يحتله الآن واحد من بولونيا. هو

نفس البيت، نفس الفراش الذي كنت أنام عليه، وأنا أحسن أن أزوره
وأراه فقط، لأنني لا أستطيع أن أستعيده..
أليست هذه قافية لأن تكتب شعراً قومياً؟..

ثم ما هي القومية بعد ذلك إذا لم تكن كل هذه المأسى
والمحن؟..

- الواقعية الشعرية الجديدة، ذكرتها عرضاً. أنا شخصياً متأثر بها
كثيراً لأنني وجدتها الأقرب إلى التعبير الذي أريده في هذه المرحلة،
هذا المزيج من همل تضييقه إلى الواقع، هو الواقعية الشعرية التي
استفدت منها كثيراً.

- وبالنسبة إلى الشعر الأجنبي: أنا تأثرت، وأنا تلميذ، بالشعر
الأجنبي بقدر ما تأثرت، وأنا تلميذ، بالشعر العربي أيضاً.

لوركا لا يزال يهمني كلما قرأته منذ ربع قرن إلى الآن، ولكنني
قلت: لم أنشأ أن أتزها بغير الزي العربي. تأثرت كثيراً بالشعر الأجنبي،
وأنا مدين له بكثير من الصور والأفكار، حتى الانفعالات التي أخذتها.
لوركا مثلاً، مايا كوفسكي، لكنني كنت مصرأً دائماً على أن أتنفس
برئي كما قلت، وأن أعيش بأعصامي.

والمسألة الثانية:

فنية القصيدة: هذه مشكلة عانيت منها الكثير.
كيف أحرص على فنية القصيدة وعلى النبضة الغامضة الخفية في
جوهر الناس؟..

الحقيقة أنني كنت أشعر أنني أكتب شعراً يضيء فيه بكثير من الفن
عندما أريد أن أصل إلى قلب هؤلاء الناس الذين نحبهم.

أجد كثيراً من الحرج في ذلك، وما أزال أعزى نفسي عن هذا
كله، بأن الشعر لا يهمني، وإنما تهمني القضية.

أن يموت شعر آخر لا يهمني لكن يهمني ويلوّرني أن تموت القضية
وأن يموت الحلم الذي عشت من أجله..

[أما عن الاتتّمام بالجمهور فأنا] كما صورت نفسي وعرفتها:
خلية في جسد كبير، أما الكلمة، فليس من الصعب أن تلتّحم
بالجمهور، لأنني عرفت الكلمة عندما تحول إلى جزء من سلوكنا
اليومي.

أنا لا أتصور أن أتكلّم شيئاً وأعيش شيئاً آخر، الكلمة هي
الإنسان^(١).

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٦-٢٨٧.

أقاتل باسمك العريان

إلى وطني العربي الكبير...
أنت... عشرون وطنًا... وخجر
وأنا...»

أشدُّ عليك.. والخمسون تركض في دمي رهقًا
أشدُّ عليك.. جفراً يثبت الواحات محترقا
أشدُّ عليك.. قافيةً وموسيقى.
ورمزاً يأكلُ العتماث..

يصلب نفسه في الشمس.. عين الشمس.. تحديقا
أشدُّ عليك يا هتي العظيم، وبها ارتعاش يدي
إذا صافحت، يا شفتني إذا حدثت، يا جسدي
أشدُّ عليك يا وطني الكبير.. أعييرك الخدقا
يلركض في عيوني، في دمي، في نبرتي، رهقًا

...

أشدُّ عليك.. في الخمسين.. طفلاً يكتئب الألم
وتتكبر أنت.. والحلمن
على قرميد ضبعتنا.. هو اللثيم
كأنني ما أزاحُ على فم «العاصي» تراتيلا

أجرِبْ أن أدقَّ على المحيط قصيَّتي الأولى
 وأنشر نار قافيَّتي على اليمنِ
 وأسع في الخليج دويَّ أحلامي ويسعَني
 أنا الطفُلُ الذي ما زال يكْبرُ فِيكَ مُخْتِرًا
 فَخَذْ خَدَقِي لآبْصِرَ فِيكَ، وَاكْثِرْ فِي دَمِي رَهْقاً.

أشدُّ عليكَ.. والناعون فوق سريركَ الأزلي
 أذابُ في أغاني الموتِ، موتكَ حبةَ المُثَلَّ
 أقاموا العرس بعد العرس، بين القبر والقبر
 نفوَكَ من الضيافِ، من الصحراءِ، من مدار الحرَّ والفرَّ
 وما هاجرتَ من جسد الرمالِ الشَّفَرِ، من جسدي
 وموتكَ كان أكبرَ من مقابرهم
 وأصلبَ من خناجرِهم
 وأشرَ من جميعِ خصائِدِ التَّأْعينِ في الْبَلَدِ
 فخذْ خَدَقِي، أشدُ على ثراكَ، أعيَركَ الخَدَقَا
 لتركضَ في عيونِي، في دمي، في نبرتي رَهْقاً.

أشدُّ عليكَ... يا حلمًا أشدُّ حقيقةً مبني
 ومن جفني الذي سهرَتْ به الرؤيا، ومن فتنِي
 أشدُّ عليكَ.. والخمسون تهتف بي

تناديني من الاعماق
تمزق كل ما بيني وبين الحب من أطواق
ونسكب في لهاني فجزك المسرورة يا وطني
وفي عينيك تتركني
وميضاً منذراً، شلال معجزة بلا زمنٍ
بلا وعدي أجيء، أجيء، أفتحاً دورة الحِجَّةِ
وأسفي الأرض، أسفي الأرض، خمرة وحدة العرب

خذوا يشعري، فلست أنا الذي يبكي على لقبِ
ولكنني سأكتب بالضبابِ، وبالترابِ، وبالدمِ
القانيِ، وباللهِ،
ولكنني سأبكي بالأظافرِ، بالسلاحِ، بكل جارحة على العربِ
على أن يخرج العربي قبل جميع من خرجوا من الكفن

أشدُ عليك في تشرين تُمحى دونك الأبعادِ
وتخترق الصحاري والحدودُ، ويلتقي أهلي بلا ميعادِ
وتسقط كل أقنعتي
وأكتب بالدمِ العربي في الجولان أغيبتي
وأعبر، أعبر الماء الذي حذروا به رتني
وقالوا: أنت أشطر

وقالوا: مصر لا عرب، ولا قربي، ولا دار
ومصر كتونس، كظفار، كالقرآن من جسمي
أتخذ؟

أضوء الشمس، نبض العرق، لون العين، يختار?
تخدعني يا صلاتي الليل، والتابوت، والغرقا،
وشدّبني على الصحراء سيفاً يمحق العتمات، مُخترقا

• • •

كلام طالما قلناه.. سوف نقوله أبدا
ستنخرفه على حجم اللسان، وحجم كل خلية تستوطن الجسدا
على حجم الطفولة والشباب، وتمثّلت الجرح والألم
وحجم قصائد الغزل التي تلقى على الرؤم..
أنا الآتي.. أنا ابن القهر.. يابسة عروق يدي
وأعزر في دمي تشربة الماضي وبرؤ غد
أنا الآتي.. أنا العربي
سوف أقولها أبدا
سأخفرها على حجم اللسان
وحجم كل خلية تعرف الجسدا

• • •

نُقلت على صليب النار من سور إلى سور
وكنث رماد «هولاكو»

وكنت ذبيح (بلغور)

وكنت...

سلوا ذمي المسفر

سلوة: كيف أنتني

على قبر الغزاوة مرارةً حضراء من نجد

يغلل شميمها بهيدي . على ظماء

ويستهدي.

وكيف بقيت يا وطني

ماذن للبروق.. لشمخة التاريخ، للنور

ومن درس يمز الغزو في جسدي إلى درس

وأبقى لون انطاكية

في جبهة القدس

وأبقى لونه غار جراغ

على الأرز المتيق..

على صبا بردى

على سيناء

وتبقى الفارس العربي مصلوباً ومقتولاً

تمدُّ بهيك يا وطني

بكل كنوزك الأولى

بكل هباتك الأولى

بكل كثرة العروبة الأولى.

أشدُّ عليك.. يا رمزاً كل حمْ الصبح عربانا
يجهن طفولتي سأظلُّ أكتب فيك عطشانا
وأشرب هَمَكَ الأوحد
وأوجُدُ حِيشما ثُوجذ

أسافر تحت قبّتك التي تبعث من التَّفَرِّ
بلا زاد، بلا مأوى، بلا سقف، بلا جذرٍ
أسافر فيك يا سفري
أغلقة هذه الدنيا.. وما فيها

بحذرك، جُذع نخلتك التي نسيت أعلاها
وما بِرَحْتْ تُشَدُّ جذورها عظيمي وعظمي أبي
وتحمِلني على موجين من عطش ومن غضبٍ
وتحفُّز في جبين الكوكب المتمرد الشَّعيب
تبشيري أنا الآتي من النسيان..
من زنزانة الحقِّ
تبشيري اسمى العربي.

... أطرف على الصعاليك الذين متّشوا على كفني
وأسقيهم.. لبدأ رحلة الإنسان

من كَفِيلَكَ يَا وطني...
وأَكْبَرُ أَنْتَ..
أَغْنَى أَنْتَ
أَخْصَبُ بِالْعَنَاقِيدِ
بِأَسْرَارِ الْضَّيَا، بِكُلِّ أَشْوَاقِ الْأَغْارِيدِ
الْوَدُّ بِأَمْنِا الصَّحْرَاءِ،
وَأَحْمِلُهَا نَبِيَّنَا عَمَّةَ الْأَرْضِ فِي الْأَرْجَاءِ..
أَقْاتِلُ بِاسْمِكَ الْعَرِيَانَ يَهْزُمُ كُلُّ أَسْطُورَةٍ
وَيَحْزُنُ كُلُّ بَرْقِ الْغَيْثِ
لِيُوكَدَ فِي حَنَابَةِ الْغَيْبِ
مَحِيَّكَ الَّذِي يَسْقِي الْعَطَاشَ السَّيفَ وَالسُّورَةَ
أَقْاتِلُ بِاسْمِكَ الْعَرِيَانَ
لِتَبْدأُ رَحْلَةَ الْإِنْسَانِ
وَأَكْبَرُ أَكْبَرُ الْأَشْعَازِ
وَيَسْقِي تَبَضُّكَ الْجَيَازِ
بِنَابِيعِي وَمَلْحَمَتِي
وَسَرُّ النَّارِ فِي شَفْتِي
أَشَدُّ عَلَيْكَ يَا هَمَّيِ الْعَظِيمِ، أَعْيُرُكَ الْحَدَّقَا
وَيَوْمَ تَعُودُ... تَحْمِلُنِي، نَشِيدًا فِيكَ مُخْتَرِقاً

يا موئِّب النور

أقيمت في مهرجان عربي كبير في حلب

يلقاك بالدموع، دمع الشورة النائم
يا أمّة... في الزنود السمر تبتسمُ
هتفت بالشعر.. فانهالت على شفتي
خطى الضحايا.. ومات الشعر، والكليم
ورحُّ المحمها في الْدَرْبِ، قافلةً
عطشى، تصازع فيها الفجرُ والظُّلم
ئُشُدُّ بالكيدِ الجουان.. خطوتها
وبالعقيدة، لا شكوة، ولا سأم
مذ الطريق إلى الأشلاء نظرته،
إلى الدماء... فكان البعثُ، والألم

* * *

هتفت بالشعر... أستقبه قافية
حمراء.. فانفجرت في أضلاعي الحمم
ولاح سوكبي الماضي.. بجبهته
غضُّ القبرود، ولسُّنْعُ السوط برتسِّم

وفُزْني في حديد السجن فَهَمَهَ
 من الرفاق.. عليها الموت ينحط
 ووالغُ في دم الأحرار، طاغيَةٌ
 ما زالَ من شَبَحِ الأحرار ينهزمُ
 وعاملٌ.. أسمُرُ الزَّاندين.. منتفِضٌ
 في كوجه ما يشاءُ الْبُؤْسُ والْعَذَمُ
 وقبضةٌ، فوق محرابٍ، مُشَفَّقَةٌ
 حصادُها الجوعُ، بعد الكُدُّ، واللَّئَقُمُ
 وناهِبٌ، وَرِمُ الأَوْداجِ، أَفَقَدَهُ
 بقيةُ الرَّشيدِ.. أَنْ يَسْتِيقْظَ «الْخَدَمُ»
 هتفَ بالشعر، فازُورُ الْهَوَى خَرَداً
 ونَاءَ تَحْتَ هَزِيمِ الْلَّفْظَةِ الْقَلْمَمُ
 وأطْرَقَ الْوَتْرَ الْهَدَائِزِ.. لَا ظَنَّاً
 إِلَى النَّشِيدِ بِعِينِيهِ، وَلَا ئَهْمَمُ
 وَتَنْتَمِثُ هَمَسَةٌ فِي الصَّدْرِ مَحْرَقةً
 مَتِي — وَقَدْ هُنَيَّةُ الْمِيدَانُ — نَلْتَحِمُ؟

بِـما موَكِبُ النَّوْرِ.. مِنْ آلامِ أَمْتَنَا
 وَدَمَعَهَا، وَدَمَاهَا، وَهِيَ تَفْتَحُمُ!

أيُّ الأماني على جنبيك هادرة
وأيُّ عبء على متنيك بزدحمن؟
رافقت دربك طفلاً، والهوى لعبت
والدرث.. في كل خطبو شوكة، ودم
رافقت دربك.. لم تخطئ رسالتنا
يوماً.. ولم نجترئ في العهد ما يعصيم
ما زلت أذكرها في الشام فافلة
من الجياع.. وما زال الرفاق هم
ناموا على الأرض أرض الشعب فامتزجت
بلحمهم ثورة في الشعب تحتدم
وعضنا الجوع.. فاقتينا ببسالتنا
وهذنا البرد.. لم تراغش بنا قذم
هذا الصخور.. سلَّكناها على ثقة
أثنا عليها - ولم نذم - تشخيصهم
للمسؤول العائد.. غند في سواعينا
أن لا يردد.. وفي ماحاتينا (ضئل)

٠٠٠

بما سوكت النور.. غاظ الليل تعطيلتنا
وأتلقت رأسها من قبرها الرؤم

الناعقون وراء الركب.. هل لَهُمْ
 أن يَفْتَحُوا الدُّرُبَ لِلأَحْيَاءِ.. هل لَهُمْ
 نَحْنُ الَّذِينَ كَسَرْنَا «الْقَيْدَ» عَنْ فَمِهِمْ
 حَتَّى تَحْرُكَ مِنْ بَعْدِ الْهَمُودِ.. فَمُمْ
 النَّاسِجُونَ بِدَمِيِّ الشَّعْبِ ثَرَدُهُمْ
 وَالنَّاَحُتُونَ يَمْزِيُّ الْكَوْثِ قَضَرُهُمْ
 وَالنَّاصِبُونَ حَدَوْدُ اللَّهِ «مَضِيَّهُ»
 وَبِهِمْشِ الْفَغْزِ فِي يَائِسٍ: أَمَا تَجْخُمُوا؟
 وَلَوْئَنَبَةَ مَسْلُوبَ لِسَارِقِهِ
 مِنَ الْأَهَامِيِّ، وَمِنْ أَيْتَامِنَا، رَجَمُوا!

يَا مُوكِبَ النُّورِ.. لَنْ نَلُوِي أَعْئَشَنَا
 فَاهِدِنِ.. مُنْتَيِ الْجَيْلِ فِي جَنْبِكَ نَضْطَرُّمُ
 الْكَائِنِ.. عَامِلُنَا الظَّامِنِ سِيرَشَفَهَا
 وَالظَّلَلُ.. فَلَأَخْنَا الصَّاحِي سِيقَتْسُمُ
 وَنَحْنُ مِنْ شَاطِرُوا الْأَنْفَاقَ مَرْقَدَهَا
 فِي الْعَيْنِ.. نَحْنُ صَبَّاغُ الثَّوْرَةِ الْأَمْمَمُ
 انْظُرْنِ.. فَمَا انتَشَرَتْ فِي الرِّبَعِ زَمَخْرَةَ
 وَلَا مَعَا الشَّمْسِ لِمَا أَشْرَقَتْ غَمَمُ

الصالخون جلوذ الشعب.. أفقدُهُم
بقيَةُ الرُّشْدِ.. أَنْ يُستيقظَ «الثَّعْمُ»
وَأَنْ يَتَشَقَّقَ «غَبِيْدُ الْأَرْضِ» طاعنَهُمْ.
وَأَنْ تَحُولَ عَنِ الْأَعْنَاقِ رِجْلُهُمْ
وَيَرْفَعُوا قِلَاعَ الْبَغْيِ شَاهِيْةً
كُلُّ الْفَلَاعِ – وَإِنْ غَرَثَ – سَتَهِيدُهُمْ

وَيَهْمِسُ السَّاعِدُ الْمَعْرُوقُ فِي وَطْنِي:
حَتَّى مَمْلُؤُمُ رَجْلَ الْذَّابِحِ الْغَنْمُ؟
حَتَّى مَمْبَفَى «قَبَابُ الْعَلَبِينِ» مَقْبَرَةً
وَأَسْرَتِي.. أَسْرَتِي فِي جَوْفِهَا رَذْدُمْ؟
إِلَى مَنْتِي يَتَغَدَّى الدَّاءُ مَرْتَعِشاً
طَفْلِي وَمَنْ قَبَضَتِي الرِّزْقُ وَالنَّعْمُ؟
وَالْأَرْضُ.. أَرْضِي الَّتِي نَصَرَتِها بِدَمِي
أَلْبِسْ لِي فِي زَوَّابِا جَفَنِهَا خَلْمُ؟
نَحْنُ الْحُفَّاءُ.. لَنَا فِي الشَّمْسِ حَضْشاً
فِي النُّورِ، فِي التُّرْبَ فِي الْعَرْشِ الَّذِي اقْسَمُوا
لَنَا رَغَائِبُ.. لَوْ شَقَّتْ مَقَابِرُهَا
تَعْطَرَ السَّفْحُ بِالْإِبْدَاعِ.. وَالْقَمَمُ

نحُنُ الحفَاءُ... أضَانَا الْأَرْضُ مُشَرِّجَةٌ
عَلَى الْكَفَافِ.. وَصَفَنَا الدَّهْرِ.. لَوْ عَلِمُوا

• • •

بَا حَامِلِي النَّبِيرِ... مِنْ أَفْلَادِ أَمْتَا
فِي الْعِيشِ، وَالْمَوْتِ خُلُوًّا.. إِنَّا لَكُمْ!
الشَّاهِرُونَ... بِكُفْ مَهْجَةَ ثُدُرِثَ
ضَحِيَّةً.. وَبِكُفْ زَمْجَرَثَ.. قَسْمَ
الصَّادِمُونَ... وَغَيْرَ الْحَبِّ مَا حَمَلُوا
وَالنَّاقِمُونَ... وَغَيْرَ الظَّلَمِ... مَا نَقَمُوا
وَقَلَّا الْبَغَيُ وَالْأَصْنَامُ صَبَحَتْنا
رُغْبَاً.. فَنَقَذَفُ بِهَتَانَةٍ، وَئِثَمْ
وَنَهَدَرُ الزُّورُقُ الشَّوَّاْنُ مُنْطَلِقاً
وَنَلْعَقُ الْمَرْجُ جَنْبِيهِ، وَيَلْتَعِلُمُ

• • •

بَا حَامِلِي النَّبِيرِ... آلَامُ رِسَالَتِا
وَشَهَقَّةُ، وَجَرَاعٌ لَيْسُ ثُكْتَشَمْ!
مَا رَاعَنَا «قَزْمٌ» فِي الدَّرْبِ مُنْتَصِبٌ
قَرِيعَنَا مِنْ تَمْطِي — باشِمَه — «الْقَزْمُ»
لَنَا، وَ«اللَّخَاصِبُ» السَّنَاحُ مُلْحَمَةٌ
خَضُمُ الْفَرِيسَةِ فِيهَا الْبَازُ وَالْرَّحْمُ

للمغول الصالِيْد عهْدٌ فِي سواعدنا
أَن لَا يَقْرُءُ.. وَفِي هَذَا الْتَّرْيَ (صَنَمْ)

١٩٥٤ موز ٨

أنشودة السفر

صدى حديثها الدائم عن رحلة طربة

أحلُّم بالسفر
خلفَ العُيُومِ، والثُجُومِ، والقمرِ
خلفَ زَدَادِ التَّوْرِ وَالْمَجَذَافِ
وراءَ هَذَا الصَّخْرِ وَالْهَجَيرِ وَالْجَفَافِ
إِلَى بَلَادِ يَنْزِلُ النَّاسُ بِهَا الْمَطْرُ
مَعَاطِفًا لِمَنْ يَحْيُونَ..
يَغْنُونَ إِلَى السَّخْرِ
وَهَشَّبُونَ اللَّيْلَ وَالنَّبِيَّ، وَالوَتَرَ
وَيَرْقَصُونَ أَهْنَامًا شَاؤُوا.
يَغْنُونَ إِلَى السَّخْرِ.
يَا شاعري.. أَحْلُم بالسفر

• • •

أَحْلُم بالحياة كالربيع. كالهوى
تنداح، لا أسوار للقلب، ولا ثكوى
بطُلُّ منها عطش الصباخ

يمشي بالشوك والجراج
 يا شاعري.. أحب أن أطير
 بي ظمآن إلى غيبوم تنسج المعجز
 تُقلّني في رخلة غامضة الشرى
 أذوق فيها لذة الهزة والذرى
 أغتصر الدُّنى
 أكون ما أنا
 أخلُم بالسفر
 يا شاعري، أخلُم بالسفر

• • •

عصافورة الرمال، والنخيل
 تُنذرني... تحلم بالرحيل
 ويعبرق الونز
 وتتمشى بِرَغْدَةٍ كالليل، كالضجر
 تلفني، كالصمت، كالقدر
 لا صوت لا اثر
 لا همسة تورق في دربي ولا خبر

• • •

طيري وراء الموج والضباب
 أعرفها عاصمة الشباب

دقت بقنصين من جنون
نواذبي ومرت السنون
وكان ردي يعرف الصباح
في مقلتيك فضة الجناح
مَّا على الوجود وارتمى
يشدُّه لطيفك القلما
يقبل الحرف الذي حمل
صلاته إليك في خجل
يا حلم الريشة والوتر
إنا معاً ظلال للقمر
إنا معاً روحان في سفر

غدائِر خَلَة

شَعْيُشُ فِي شَفَقَتِي وَخَبَأً، وَفِي خَلْدِي
مَاذَا لَوْ ائْسَكَ الشَّلَالُ فَوْقَ يَدِي؟
أَلْهَاهَا فِي خَيَالِي.. كُلُّمَا شَرَّدَتْ
وَأَثْرَيْتُ الْكَأْسَ مِنْ نَوَارِهَا الْغَرِيدَ
فَصَبِيْدَةُ اللَّهِ.. لَمْ يَبْدُعْ أَرْقَ سَنَّا
وَوَقْدَةُ الْحَبِّ.. لَمْ تَخْطُرْ عَلَى كِيدَ
أَجَبَهَا، أَتَلَى لَحْنَهَا عَبْقاً
يَنْهَلُ مِلْءُ دَمِي، بَرَنَاحُ فِي جَسْدِي
وَأَغْبَرُ الزَّمْنَ الْمَاضِي بِخَافِقَةٍ
لِلْشَّفَقِي مَغْهَا فِي شَرْفَةِ الْأَبْدِ
غَرِيرَةُ كَدْمُوعِ الْفَجْرِ، رَائِعَةُ
كَدْفَقَةِ الْوَخْيِ.. فَكُثْرَةُ يَدَا رَضِيدِ
لَشَرَّهَا فِي خَيَالِي أَلْفَ سَاقِيَةٍ
وَجَذْوَلَ بِحَنِينِ النُّورِ مُتَقَدِّدَ
أَرْسَلَتْهَا خُضْلَا ظَنَّائِي مُرْفَرَقَةٍ
وَضَفَّتْ فِي غَابَةِ مَجْنُونَةِ الْغَيَّبِ
وَرُخْثَ أَنْشَجَ ضَزْعَ الشَّمْسِ أَغْنِيَةً

وأملاً الأرض بالشغف وبالرغبة
إذا توجهت في المرأة ذات صحنى
بما غابة النور.. بما شلاله الأبدى
ضئي يذئبك على فيناره ولذت
مع الربيع.. ولحن للربيع صدى
ضئي يذئبك.. أسليل في عبيرها
روائع الله من شغرى، ومن سهدي
لي مرفان وراء الغيب.. عندما
القبيث يومي، وأنسى، والهوى، وغدي
يُخثيرتان..

وزادى من صفاتهما
لمن، وأغيبة عضماء
لم أزيد
قصيدة أنت..
أغفى عند شاطئها
على شعاع...
على حلم..
أضم يدي..

القرية وفني

إلى صديقة الشاعر «منى» بعده رسالة وغياب
من قربتها النائمة في حضن الجبل

خلو كالمحب بتعاب مُتنى!
أهلًا بخيالك... طفلتنا
يا للذكرى.. نطوي الزمان
وتجدد شطرًا... من عمرى!
أيام غصنا... في الدنيا
لهماء، ورغائب من جنير
أيام تصبانا الجبل
والخد الأسم، والغزل
وليالي القرية، والزجل
إذ تبدؤها عند العصرا
ويضيئ الموكب في غروب
ولشکر بمحسو من شکر
بالروح... صبابات نشوى
خفقت بالحب.. كما نهوى
كانت، هل ما زالت سلوى

لکفای، مُلْتَهِبٌ، مُرَا!
خُضناء، فی الشوک الدامی
ثورات جراحات خنیر

فی کل متعلّل او ذَبِ
أصداء.. من مَرْجٍ عَذْبٍ
وخيال.. يومیه للشخصِ
أني.. لَمْ أَقْوَ عَلَى الْهَجَرِ
عودوا.. فالقرية بعدكم
قد أزهقها.. صفتُ القبرِ

مضت الذکرى.. عاماً، عاماً
وبقينا فيها.. أنغاما
قصصاً لللخت.. وأحلاما

بالريف وفتشه، تُعرِي!
قصصاً.. لا تُبلِي جذثها
أشبلِي.. وهي صبا الدهر؟
أصبحتُ أَنْ مُنْتَى فِيَنْ؟
قد فُتَحَ نظرُها الزَّمْنُ
وافتَرَ عن الوزد الغُصْنُ

ومشى للروضة بالسرّ
فإذا الحسنة.. مليكتها

وأميرة أحلام الرؤفر

أصحابي حسناً غثٌ
وجفاءُ الشَّغْرِ هو القُبْلَة
في ضياعها.. ولذَّ الحُبِّ

وتُرْغَعُ.. في القمَّ الشَّفَرِ
وخيالَ النَّبْعِ.. عَرَفَتُ الوحْنِي
— وفوقَ ملاعيهِ الْخُضْرِ

فَسَمَا.. بِغَدَائِرِكَ السُّودِ
غَنْفُود.. لَأَذْ بِعَنْفُودِ
وَبِرَفْقِهَا.. فَرَقَ الْجَيْدِ

خُضْلًا تَعْطُفُ في كِبِيرِ
لم تبرُخْ أطْيافُ المَاضِي
أَغْرِوَدَةً شَوْقِي.. في صَنْدِري

لم أَئْسَ الْفَضِيْعَةِ.. وَالشَّفَحَا
تَخْطُفُهُ.. لَفْحَا.. لَفْحَا
وَخُطَانَا.. تَسْقِيقُ الصُّبْحَا

وَنَطْمِئُ.. بِأَخْبِرَةِ الْفَتَنِ
إِنْوَافِكُمْ... بِقصَائِدِنَا
وَلَشَكِيرٍ.. آلِهَةِ الشَّعْرِ
وَيمُورُ الْبَيْتُ الْحُلُوُّ بِنَا

وتجاذبنا الضحكات.. مئى
وشعيرٌ كائن.. في بدننا

ونضيغ.. بنشرتها البكير
فإذا الدنيا.. تَقْمَ عَذْتُ
من ثغر طاز.. إلى ثغر
لم أُنْسِ الليل.. وقد جئنا
بملاحم.. رددها.. عنَا
وصدى «الشبابية» هل رأنا

أخلَى من عاصفة السحري؟
أو هذِهِ يوماً سمعَ مُنْيَ
ياًزق، وأندِي من شغري

أسالت الوادي الممحورا
والمعطر عليه منشرا
والذروة لملمت النورا
والأفق كشعشعة الخمر
أفتِيسُ، ثمة، نابضة
إلا يشَرَّد في صدري؟

أشتاق القرية، والريفا
وأحب سابلة الهيفا
والزفر يُفَرُّ تفويفا

غَطَّافَاتِ الْجَذُولِ، وَالنَّهَرِ
 وَالغَابَةِ تَشَخَّصُ مِنْ بُعْدِ
 كَالْلَجْأَةِ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ
 أَتَيْدُكُرْنَا رَاعِي التَّلْ؟
 وَخِرَافٌ تَنَعَّمُ بِالْغَلَلِ
 أَزْ تَرَقَى الْهَضْبُ عَلَى مَهْلِ
 فَتَلُوْعُ لَآلِيَّةِ فِي تَخْرِ
 وَتَغْنِيْهَا فَتَرِي فَبِنَا
 رُغْبَانَا أَغْرَقَ فِي الْقَفْرِ
 وَيَئُرُ كَعْلِمِبِ لَثَاجِ
 فِي الرَّبْوَةِ بِغَرْلُ فَلَاجِ
 بَهْوَي بَجْبِنِ تَضَاجِ
 فِي الْأَرْضِ الْبُورِ وَفِي الصَّخْرِ
 وَيَقْطُرُ مَهْجَةً عَرْقاً
 لِثَضِيَّةِ ثُرَبَا فِي قَضْرِ
 أَتَيْدُكُرْنَا.. يَوْمُ الْعَبْدِ؟
 وَ «الْدَّبْكَةُ» بَنْتُ أَنَاثِيدِي
 وَالْجَبَدُرُ.. رُصْعَ بِالْغَيْدِ
 وَأَذْلَلْ بَهْنَ عَلَى الرُّغْرِ
 مَلْ كَنَا تَرْفَصُ بِؤْمِيدِ

أَمْ نَشَبَّحُ فِي ضَوْءِ الْبَدْرِ؟

أَحَلَامٌ زَاهِيَةٌ أَبْدَا

عَاشَتْ لَهْبًا فِينَا، وَنَذَى

وَتَرَكَنَا مَا لَخَنَا غَرِيدًا

وَحِيَاةٌ ضَائِثٌ بِالْأَنْسِيرِ

فَمَضَتْ لِتَفْجُرِ ثَوْرَتِهَا

فِي أَحْضَانِ الْجَبَلِ الْوَغْرِ

سَنَعُودُ إِلَى التَّبَعِ الصَّافِي

وَنَسِيرُ مَعَ الرَّاعِي الْحَافِي

بِأَرْبِيجِ الْعَمْطِرِ الْهَفَهَافِ

لَنْ تُخْطَطِمَ أَغْلَالُ الشَّرِّ

سَنَعُودُ إِنْبَدَا ثَوْرَتِنَا

فِي كُوكِ الْحَعْلَابِ الشَّزَرِيِّ

أمشي.. وثنائين

انشدت في مهرجان الشعر الخامس الذي
أقامه اتحاد الأدباء والكتاب العرب بصنعاء..
في ١٢ - ١ - ١٩٨١

قال شاعرنا العربي القديم:

«لا بد من صنعا.. وإن طال الشغف»^(١)
ماذا من الشهقة الحمراء أختزن؟
أمشي وثنائين بما صنعا، يا عذن
تقصف العمر في جفني وفي شفتي
وما تزال وراء الدمعة اليائس
أمشي وثنائين.. هل كان الهرى غبنا؟
وهل تلازم في المبحث والكفون؟
أمشي.. وثنائين.. يا للحالم أعصره
شحراً، وبعصرني يأساً، وأحتضنها
ثبارك الخزن..
يغوي جمرني أبداً

(١) شطر البيت هذا للإمام الشافعي.

إذا انتهى بالرِّماد اليأسُ والحزنُ
ما ذا من الشهقاتُ الحُمْرِ قد تركتُ
لَي الدُّرُوبِ، ومن حلواً ومن طعنوا؟
ما ذا؟

أَلْفُثُ الشَّرَابَ الْمُرَّ فِي حَذْقِي
وَمَا كَفَرْتُ..

تَرَدَّى الْكَفَرُ مِنْ جَبْوَهُ
تَسَاقَطُوا فِي الْبَرِيقِ الْمُسْكِيِّ وَأَشْحَوْهُ
بِالْكَبْرِيَاءِ، وَفِي تَمْزِيقِكِ ارْتَهَنُوا
لِتَنْفُضَنَّ تَرَابَ الْقَبْرِ عَنْ شَفَقِي
لِلْهَامِدِينَ يَغْطِي الْأَرْضَ بِمَا يَمْنَنُ
قِيَامَةَ الْبَاسِقِينَ الدَّمُ قَدْ أَرْفَتَ
هَيَا انْفُخِي..

بِيَدِنَا الصُّورُ يَا عَدَنَ
هَيَا انْفُخِي..

مَا أَنْبَثَ الْأَرْضَ مِنْ عَذَمٍ
هُنَا.. يَعْيَئِي يَوْمًا أَبْصَرَ الزَّمَنَ
الْدَّهْرُ نَحْنُ صَنَعْنَا أَبْجَدِيَّهُ
فِي كُلِّ وَارْفَةٍ مِنْهُ لَنَا فَنَّ
لَا أَكَذِّبُ الْفَلَكَ الدَّوَازَ، كَامِنَةٌ

شمسي، وبصطرعان: الضوء والذئن
 يا حافري قبرنا.. والليل ملوكهم
 بين المحيطين تعشّل ليس يندفع
 أمشي.. وثنائين
 ما جدّفت بالإسراء

لا بدّ، لا بدّ يا صنعة من صنعة
 صنعة.. يا كبورة الأيام
 يا محلولة القسم الخرساء والأنسام
 يا دمعة الضوء في التاريخ والأرحام
 « مليحة.. عاشقها السلُّ والجرب »^(١)

قال ابنها..

ضفت للكلمة العرب
 لا تغضبي.. لم يكن شطًّ بلا أنواع
 لم يعني قلب بلا بلوى ولا غناء
 وما عرفت بلاً قطًّ يا صنعة
 تنزّلت جنة حضرة
 من السماء.. تدلّت جنة حضرة
 ولم تُرّ بها آلة ولا بأساء
 « مليحة.. عاشقها السلُّ والجرب »

(١) الشطر من قصيدة للشاعر اليمني عبدالله البردوني.

أَجْهَمَا.. تِلْكَ أَرْضِي..
 يَشْهِي الْعَطَبَ
 يَوْمًا.. وَيَنْشُقُّ عَنْ ثَارَاتِهِ الْكَفْنُ
 يَنْشُقُّ عَنْ لَحْدِهِ السَّوْرُودُ بِمَا عَدَنُ
 تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا تَخْنَأُهُ السَّفَنُ

• • •

لَمْ أُعْرِفْ الْأَحْجِيَاتِ الرُّوقَ فِي قَلْمَيِ
 اسْمِ الشَّقَاءِ الَّذِي أَقْنَاثَهُ الْوَطَنُ
 أَرِيدُهَا بِوْضُوحِ الْخُبْزِ أَغْنِيَتِي
 وَالْجَوْعِ وَالْخَنْجَرِ الْمَغْرُوزِ فِي رَئِسِي
 أَرِيدُهَا..

وَتَدْفُقُ الرِّيَاحُ نَافِذَتِي
 تَلْفُنِي بِسَبَاطِ الشَّخْرِ
 مِنْ كُلِّ فَجٍ.. تَلْفُ الشَّمْرِ
 مِنْ أَنْتَ؟ طَفْلٌ بِلَا مَأْوَى
 صَوْثٌ.. بِلَا جَدُوِي
 وَعَدْ.. وَلَا وَاعِدْ
 غَزْمٌ.. وَلَا سَاعِدْ

مِنْ أَنْتَ؟ نَضَرْتُ فِي بَيْدَاءَ مِنْ أَزْلِي
 قَالُوا لَنَا.. ماتَ فِيهَا الضُّرْعُ وَاللُّبْنُ

قالوا.. وأقسم حادبهم ومحطربهم
هذي الملابس.. لا روح ولا بدُّ
مائت على القلم الضغلوك..
وانطلقت

بشائر الحقد.. غطى الساحة العفنُ
أنت البتيم على أطراف مائدة
شم العروبة فيها الفن واللُّسُونُ
تجئ في عشماب الزورِ أغبية
تفول: نحن هنا
تصير: نحن هنا
نسقى وتعلقم أغلاً..
ونحن هنا

تجئ في عشماب الزورِ كل بذَّ
تمتد.. يحضر في أحلامها عصمنُ
من أنت؟

يا ربم التاريخ في واري
ليسقط عن جثتي الكفن
لأبلقتك يا شط الهوى رهنا
تعرفت ذات الأغواز والشذوذ
لأحبلت بقايا اللحم في قدمي

وألتقي بابلك المرصود يايمُنْ

عفو العُمود..

وغفو الظلّ...

فافيةٌ

تُدُقُّ صدري. يَدَاهَا القَهْرُ والمِحْنُ
لم أعرِفُ الأَحْجَيَاتِ الشُّوَدَ يا بَلْدِي
ولَا تَأْكَلَ فِي أَجْفَانِي الْوَسْنُ
ما كُنْتُ رِمَّاً

ذَعْنِي عَارِيًّا وَجَعِيًّا
دَمُ الْقَتْمَلِ بِأَغْلَى الرُّؤْمِ يُمْشِئُ
الخَنْجَرَانِ بِصَدْرِي^(١).
كَانَ نَزَفُهُما

عُمْرِي.. أُجِبُ بِهِ طِفْلًا وأَضْطَلْتُ
الخَنْجَرَانِ.. وَيَا فَا مِثْلُ حَازَتْنَا
خَلْفَ الشَّلَامِيلِ.. لَا أَهْلٌ وَلَا سَكُنٌ
بعِيدَةٌ.. عَيْاثَ الْحَلْمِ.. يَا وَطَنِي
صَحْرَاءٌ يَلْهَثُ فِيهَا الْفِكْرُ وَالظُّلْمُ

(١) الإشارة إلى لواء الأسكندرية وفلسطين.

بعيدة.. أتقرأها بما ثركت
لي السنون.. وما أبفى لني الزمان
أرتند طفلاء..
أدقُ الصخر متغلاً
صحو الينابيع..
يُكى قبضتي الوهن
إني أصرُ على رؤيا تُرزقني
كل القرابين في نيرانها امْسحُوا
عفوا الغباء.. وغفر الشفري..
أعشَّه
هذا العناد..
معاً.. في التزوع تفترن

الغالرون

في يوم الشهداء

نادا هم البرق .. فاختاروه وانهمروا
عند الشهيد .. تلاقى الله والبشر
نادا هم الموت .. فاختاروه أغنية
حضراء .. ما منها غود ولا وتر
ئقدس المعلم المجدول صاعقة
وزييقا .. يا شموخ الأرض ... يا مطر
لا ثقلعني قبضة التاريخ عن غدنا
أطفالك الشفاعة يا صخراء قد كبروا
ريش على ضهوات الريح .. فجرها
بالشنجات .. وريش راخ ينتظر

• • •

تشرين .. يا مؤعد الفرسان .. يا قدرأ
بحشو على قدمي ميلاده القدر
أطلقناها من جحيم اليأس قافلة
من العطاش .. بقدليل الضحى كفروا

بكرمة الضوء.. كانت كُلُّ فارقة
 على حزيران، بما تشرين، تنتحر
 أطلقتها.. فسمواتي على بردى
 سكري.. تعانق فيها الخبُّ والخطَّر
 تعانق النُّصرُ والتاريخ ملائمة
 وكثير الغثُّ والبنبُوعُ والخجرُ
 تعانق الفارس المقدود من الْمِ
 والشُّلُّ.. فالعاشقان الشُّلُّ والشُّرُّ
 وأينعُث بالدم الحولان.. وانضفرت
 سباء.. بما زوعة الإكليل ينضفو
 سُرُّ الصحراء.. ولنها كُلُّما يُبَسِّـث
 من أين ينبع فيها الظلُّ والشجرُ
 من أين؟ قالوا: كروم العيف قد غفت
 من أين.. كلُّ نبيذ المجد يغتصبُـ؟

الحالدون.. على أهدابنا تبُثوا
 عرائش الرُّفُو.. في أخدافنا سهروا
 شام أطفالنا... تضحو على قصصِـ
 وينشجون الرؤى منها اذا كبروا

وَمَسَالُونَ، فَتُنْفِطِيهِمْ، وَتَسْخَرُهُمْ
 آباؤُهُمْ فَوْقَ مَا تُغْطِي وَمَا سُجِّرُوا
 صَارَ الصَّفِيرُ يَمْدُدُ الْيَوْمَ قَاتِلَهُ
 أَبُوهُ بِالْقَنِيمَةِ الْحَمَرَاءِ يَغْثِي
 يُلْقِنُ الْمُعْتَدِي دَرْسًا، يَقْلُمُهُ
 كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى الْإِنْسَانِ يُخْتَصِّرُ
 وَكَيْفَ تَهْرِي «أَسَاطِيرُ» هِيَا كُلُّهَا
 فِي الْحَيٍ.. بَيْنَ يَدِي أَطْفَالِنَا أَكْثَرُ
 وَكَيْفَ يَزْجُعُ حَقًّا.. ظَلَّ سَارِفٌ
 أَنَّ الشَّرائِعَ بِالشَّكْبَينِ تَنْدِيرٌ

تَشْرِيبُ أَمْطَارِكَ الْخُضْرَ الَّتِي كَتَبَتْ
 أَعْمَارَنَا.. لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْسِ لَيْ غُمْرَ
 دَمُ الشَّهِيدِ أَعَادَ اللُّسُونَ، لَوْنَ دَمِي
 وَازْتَدَ مِلْءُ جَفُونِي الضَّوءِ وَالْبَصَرِ
 فِي سَاعَتَيْنِ.. خَلِقْنَا كُلُّنَا بَشَرًا
 قَبْلَ الشَّهَادَةِ.. لَا وَجْهَ وَلَا صُورَ
 فِي سَاعَتَيْنِ.. تَعَالَّتْ كِبِيرِيَّاهُمَا
 كَيْفَ انتَهَى فِي عَصُورِ الْفُرْقَةِ الْكَفَرِ

دم الشباب.. أفيقي يا بياورنا
على القطاء.. وجنّ الزرع والثمر
دم الرّجولة يا تشرين.. قبل لنا:
لم يُنْقَ من ضربة عذراء فاصلة
في ذي القارب.. ولا في ثورة عمر
افتُح جناحبك يا تشرين.. مُدئما
على الرياح.. وخل الأرض تستعر
وَدَمْرِ «الْكَذْبَةِ الصَّفَرَاءَ» دَمَرَّا
هذا القناع.. فما يُنْبَقِي ولا يُنْذِر
قل للهزيمة.. قُلْ لِلْبَلِ: موعدنا
على التلال.. وندري من سينحدر
قل للحضارات.. لَنْ تُحْمِي بِرْزَعَةٍ
سوداء، تعْلَى فتستغلني فتتكبّر
قل للغزا: كأسلاف لكم.. خبر
أنتم على أرضنا.. إنْ تُنْقِضُ.. خبر
الخندقان.. وصلنا أثني عشر ما
وتجددت في الهتاف الأسمى السُّور
الخندقان.. مشتَّطْوان في بردى
واشتقرت فرق سرج واحدٍ مُضِرٍ

لم نُنطَلِفِيْغَ.. وَكَأَسْلَافِ لَكُمْ.. خَبْرٌ
أَنْتُمْ عَلَى رَمْلَنَا.. إِنْ نَنْتَفِضْ.. خَبْرٌ

• • •

ما شام.. مُدئي بساط الحب.. واحدة
كأشن العروبة.. وليخضو ضرب الشمر
اسفي العطاش.. حديث المجد رائعة
من الملائم يُفْنِي دونها الشهـر
شبابنا في متون الريح أشـرـعـة
وفي اللـالـاـلـ.. ذـمـ بالنصر يـأـتـيـزـ
مـدـيـ بـسـاطـ الـهـوـيـ.. ما زـالـ فـيـ ذـيـنـاـ
مـنـ يـاـسـمـيـنـكـ كـنـزـ لـلـهـوـيـ عـطـرـ
وـقـفـتـ فـيـ عـتـابـ الـخـلـدـ شـامـخـةـ
بـالـأـبـيـاءـ ثـغـطـىـ الـمـرـجـ وـالـرـفـرـ
يـقـاتـلـ النـسـرـ.. يـنسـىـ غـيرـ مـلـعـبـيـ
يـنسـىـ اـسـمـهـ.. فـيـ السـمـاـوـاتـ اـشـمـةـ الـفـقـرـ
يـوـشـوـشـ الـمـهـرـةـ الـسـمـرـاءـ مـبـسـمـاـ
فـيـ نـفـلـكـ الـمـوـثـ.. أـدـريـ كـيفـ أـنـصـبـرـ
أـمـانـةـ الـبـعـثـ وـالـتـارـيـخـ فـيـ عـنـقـيـ
فـاـشـرقـيـ فـيـ دـمـيـ يـاـ شـمـشـ، يـاـ قـمـرـ

1

تشربن.. لم ينته الشّوّطُ الذي بدأت
 خيولك البيض في الميدان من نَفَرُوا
 في خندق النار ما زلنا.. وتعْرَفنا
 خنادقُ النار عن قُرب.. وَتَدْكِرُ
 الراكبون غُرُوزَ الأَمْس.. مُفْرَغُهُم
 تحت الغرور.. فشقَّ الدُّرُبُ يا سحر
 نطوان في بردى.. بغداد في بردى
 صناعٌ في بردى.. والبيت والحجر
 قصيدةٌ نحْنُ ملأُ الدهرِ صامتةً
 ويشكُرُ الدهرُ كثِيرًا حين تُنْفَجِرُ
 قصيدةٌ نحْنُ.. يُنْلِيهَا ويندِعُها
 دمُ الشهيد.. وجَلُّ القُوَّةِ والوزَرُ
 لآتَنا.. وجذورُ الشَّمْسِ في يَدِنا
 ثُقَائِلُ الْخَلَقَ الْبَاغِي... مَشَّاصِرُ

كانون الأول ١٩٧٣

يا ياسمين وشق

بعد غارة صهيونية على دمشق

تشفي من الأزلِ السحيق وتشكر
ما زأقول؟ وأيَّ خفِرِكَ أعصرُ؟
يا ياسمينِ دمشق.. مُدْ ببارقي
مطرًا.. يملأخمة الرسالة بهيز
يا ياسمينِ دمشق.. عطركَ أبيض
وتنظرتَ أفعى فعطيتكَ أحمر
وغضبَت.. فالوطنُ الكبيرُ عباءة
خطَت على بردَي.. ونشرَ أسرار
مشئتَها أنطورة.. وذروتها
كلُّ الغزاوة على العبيرِ تكسروا
كُلُّ الغزاوة.. وظلَّ قنديلُ الهوى
أبداً على العطرِ المدللِ ينشرأ
كلُّ الغزاوة.. ولم تجفُ منارة
يا ياسمين.. ولا تزحزح مثبر
تمتدُّ يا لون العبيرِ جهئما
فوقِ الرمال.. جهئما تَسْعُ

وَثَقْمَةُ الصَّحْرَاءِ تَحْتَ نِعَالِهَا
سُودَاءُ مِنْ قَصْصِ الْجَرِيَّةِ ثُقِبَرُ
يَا يَاسِمِينَ دِمْشَقَ.. طَوْقٌ وَاحِدٌ
وَطَئُ الْمَرْوَةِ بِالْأَرْبَعِ ثَسْوَرٌ
بِالنَّارِ، بِالْغَضْبِ الْمُقْدَسِ، بِالرُّؤْيِ
بِالْأَنْبِيَاءِ مِنَ التُّرَابِ ثَفَجَرُوا
مِنْ كُلِّ زَنْبَقَةِ أَطْلَلُ مَفَانِيلَ
مِنْ كُلِّ سَوْسَنَةِ تَخَدْرَ خَنْجَرُ
وَلَدُوا عَلَى بَرْدَى مُرْوَجِ غَمَامَةٍ
بِالصَّاعِقَاتِ، وَبِالْطُّفُولَةِ ثَزَهَرُ
وَلَدُوا عَلَى سِينَاءِ مِثْلَ قَصِيدَةٍ
فِي بَالِ مَغْرِبَةِ الرُّؤْيِ لَا تَخْلُلُ

• • •

يَا يَاسِمِينَ دِمْشَقَ.. مِفْتَاخُ الضُّحَى
بِيدِ الْعَبْرِ حَضَارَةٌ لَا تُقْهِرُ
يَا قَامَةُ الْغَضَبِ الَّذِي لَا يَنْحِنِي
مِمْلَادُكَ الْعَرَبِيُّ أَخْضَرُ أَخْضَرُ
يَا يَاسِمِينَ دِمْشَقَ.. وَحْلَةُ أُمَّةٍ
بَدْمِ التُّشُورِ، ذِمِ التُّسُورِ ثَسَطَرُ

٩ شَرِينُ الْأَوَّل ١٩٧٣

زهرة

زَهْرَةٌ مِنْ الشَّفَقِ
بَرَوْغَمَتْ عَلَى الْأَقْنَى
حَلْوَةً.. كَهْبَيْتَهُ
فِي ضَفَائِرِ الْحَبْقِ
غَرَدَثْ عَلَى شَفَقِي
مَوْجَةً مِنْ الْعَبْقِ
أَزْرَقَ الْطَّرِيقَ بِهَا
جَئَةً مِنْ الْأَلْقِ
إِنْ يَمْئَهَا نَفَمْ
بِالصَّفَاءِ يَخْتَرِقُ
أَلْفُ مَؤْسِمٍ عَمِيلِ
فِي الْجَبَينِ.. لَمْ يُفْقِ
يَوْمَيْهُ الْقَذَا خَجِلاً
بِالْمُنْتَضِرِ الْغَدِيقِ
اَضْفَرَ النَّجُومَ لَهَا..
اسْفَهَا سَنَا الْحَدِيقَ
بِهَا لَرَوْعَنَيْهِ ضَحْنِ

ما يزال في الغستي
يُشكّر الدروب غداً
بالربيع.. والوزقي

١٩٦٤

الجسر والمقهى الهرم

هدأة الى الصدق وص.ا. ذكرى زاويته...
في المقهى الهرم .. بدمشق.

سُفِيًّا للأمس .. أخا الجام
وسلام .. يا ليل الشام
اللهام .. ذاب بالإلهام
وكؤوس تتفق بالشمر
وشباب للدنيا ظامي!

• • •

بحنابا الميَّزَهُرِ أنشودة
ذكرى من حولك مقدودة
وأكاد أراها .. مردودة
بصدى .. كالثُّرْنِ المنهمِ
في أرض عطشى، مفرودة

• • •

خذه من أعماق الأمس
لحسناً ننساب به نفسي

وَتُصَارِعُ أَغْنِيَتِي جَسِي
فَإِذَا أَنَا أَلْهِيَّ الْقَدْرِ
وَإِذَا قِبَشَارِي فِي يَمَاسِ!

• • •

أَفْقَتْ بِنَكْشَفٍ عَنْ أَفْقِتِي
فِي رُوحِ ظُمَآنِ، قَلِيلِي
وَنَهِيَّثُ الشَّمْرُ: أَنِّي اُنْطَلِقِي
فَوْقَ الْإِشْفَاقِ، عَلَى الْحَذَرِ
فَإِذَا بِبِيَانِي فِي رَهْقِتِي

• • •

اللَّفْغَةُ.. يَا لِلْمَأْسَاةِ!
لَوْ كَانَتْ تَحْيِيْلُ آهَاتِي
وَأَعْاصِيرِي، وَجَرَاحَاتِي
وَحَكَابَةً «مَعْلَمَجَنَّا» التَّغَيِّيرِ
وَشَوَاطِيْهِ قَلِيلِكَ بِالذَّاتِ

• • •

عُذْ بِي لِمَقْيِلِكَ فِي الشَّامِ
«نَفَّشُ التَّبَاكُ».. وَأَحَلامِي
وَشَرُودُه.. عَبْرَ الْأَيَامِ

وحواءٌ «تغيير» البشر
ومخططُ إنسانٍ سامي

• • •

للجزءِ، «ومقهاه» الهرم
طيفٌ في الخاطر لم تؤمِ
صورةً تنشالُ على قلمي
شرعاً.. لو مَرَ على وَرِي..
لتفجر نبع من نَفْسِهِ

• • •

إن غُجّت على المقهى..
فَقِيقِيفِي!
وتجاه الساقية.. انطيفِي
كرسي القش على طرفِ
وخيوطٌ من ضوءِ القمرِ
وسلام الزهد على التُّرْفِ!

• • •

اجلسن.. تسقفك «الترجيلة»
وأبو عدنان^(١).. فني حيلة

(١) صاحب المقهى.

ولقد ثبَّتْتَكَ «التشعيمَة»
 وترئَّشَتَ «نارِك» فاصطَبِرَا
 فلكلُّ عسِيرٍ.. تذلِّيلَة!
 وسع «النَّفَاثَاتِ» المُؤَازَةِ
 يجلُّو المتأمِلُ أفكارَه
 وبصافُع قلبِ أسرارِه
 فإذا هو في لُجَّ الفَكِّرِ
 نَفَّمْ بِتَلْمِيَّنْ أوتارَهَا

• • •

أجلسنِ.. لا تشكِ الضوضاءِ
 مَنْ راح هنَاكِ؟.. ومن جاءَ
 آثَحُّ بِرَأْسِكِ.. إعْيَاهِ؟
 جَدُّ «تبَاكِك» ينحرِ
 وتأمَلْ - ثمَّ - الأَهْيَاءِ

• • •

الشارِقُ قُرْبُكَ والنَّاسُ
 حسُّ تَنلُوهُ أَخْسَائُ
 مُشَائِعُ للعيْنِ.. وإِيْنَاسُ
 صورٌ تجلُّ شَبَقَ الصَّاجِرِ
 الشارِقُ قُرْبُكِ.. والنَّاسُ!

حسناً.. ومنديل شفُ
وفتن بالفاقة مُلتفُ
وخلع نصي، وخطى تقو
وصفاء الأفق مدى البصرِ
ونداء الحبِ.. ألا تهفو!

• • •

في العيم السارح.. في القلَكِ،
في الور الساطع.. في الحلَكِ،
تغزوك بجانحشِي مَلِكِ،
في مرج وجذَّاك بالذكرِ
وتغمضم: هذا الكونُ لكِ!

• • •

سراوَك.. والغرَلُ العَبِيْ
من ثغر الله به ألق؟
والليل.. وكائن تصطفيهُ
حدثني عن باقي الخبرِ..
في «نارك» لم يبرُخ رمقُ

• • •

الحبِ.. أتعرفُ ما الخرو؟

ما الرملُ المحرقُ.. ما الغفر؟
وأفاه على القبّيس القطر
فأحيلَ مروجاً من زهر
يترققُ في دمها العطر..

• • •

الحبُ.. وأنفاسُ الغزلِ
آمنتُ بملحمةِ الأزلِ
بوجودِ نَدَ عن المثلِ
بهيدٍ تتعثّرُ بالحجرِ
فإذا هو يخلُّج بالأملِ!

• • •

أترؤُث «منضدةُ الخشبِ»
والدفتر.. من جرح العرب؟
هيا.. واصدع ليلَ الأدبِ
ببراعمِ إنداءٍ عطري
برسائل.. توشّع باللهبِ!
أهنَّ الشبيِّ والمجدِ؟
يهتُرُّ لنبرتيِ الخلودِ؟
وطلولُ أنطُقها سعدٌ
وتراثٌ ليس بمنذرٍ

ما رفٌ لمكرومةٍ بئذ

• • •

والغرب.. مغربنا الثائرا
هل لبيت الصوت الهايدز؟
وسقيت الإعصار الظافر
وحشدت الثورة في أثرٍ
يصلُّ الماضي بستنا الحاضرا

• • •

اكتب.. اكتب.. إن الجيلا
قد أوشكَ بطرقٍ تضليلًا
وسماقات.. وأباطيلًا
من مرتفق، أو مُثْجِرٍ
غريبان.. تحتلُّ الغيملا!

• • •

لا تبرخ «مقهانا» الهراما!
أهوى فيه حتى السما
أهواه.. ألم يلُك مزدحما؟
بالمرفقين مثلي والضجر
وبمن خربوا.. إلا الآلما

لِي فِي جَنْبَهِ أَشْبَاهُ
 مِنْ شَعْبٍ أَحِيَا بِلَوَاهُ
 وَأَجْحُنْ بِصَدْرِي شَكْوَاهُ
 وَقَزْفَةً بِهِدِ الْقَدَرِ
 لَا يَذْعَ.. لِهَذَا أَهْواهَا

• • •

جَدُّهُ فِيهِ نَارٌ «النَّفَسِ»
 وَيَقْلِبُ الْمَأسَاةَ اِنْفَسِي
 إِنْ لَمْ نَلُكْ نَحْنُ سَنَا الْقَبْسِ
 فِي هَذَا اللَّيلِ الْمَعْتَكِيرِ
 وَالْهَفَاءِ.. لِلرَّوْكِبِ التَّعْسِا

١٩٥٦



الفهرس

المقدمة	٣
سليمان العيسى (غناء الذكريات)	٧
ثقافة الشاعر	١٨
قضية العروبة	٢٢
الشعر بمفهوم سليمان العيسى	٤٨
شكل القصيدة	٥٩
تراث المعاصرة، أو القديم والجديد	٦١
الخطابة في الشعر	٦٤
مولد القصيدة	٦٦
عندما يغنى سليمان العيسى للأطفال	٦٨
فلسطين	٧٣
النجار	٧٤
الرسام الصغير	٧٥
قيل في سليمان العيسى	٨٠
طراد الكبيسي	٨٠
أدونيس	٨٢
أحمد عبد المعطي حجازي	٨٣
جعفر ماجد	٨٥

سليمان العيسى مجيناً	٨٦
مختارات	٩١
أقاتل باسمك العريان	٩١
يا موكب النور	٩٨
أنشودة السفر	١٠٥
غدائر خولة	١٠٨
القرية ومني	١١٠
أمشي وتأين	١١٦
الخالدون	١٢٣
يا ياسمين دمشق	١٢٩
زهرة	١٣١
الجسر والمقهى الهرم	١٣٣
الفهرس	١٤١

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

